

روايات مصرية للجيب



ما وراء الطبيعة

و. محمد رضا الزقزوق

سلسلة  
الأعداد  
الخاصة

3

Looloo

www.dvd4arab.com



الأبجدية



## المقدمة

هذا هو الكتاب الخاص الثالث من سلسلة (ما وراء الطبيعة) ..  
لم أتعهد قط أن يكون الإصدار سنوياً ولا نية لى فى ذلك ، إنما هو  
ما تجود به القريحة من أفكار .. وحتى اللحظة الأخيرة ما زال  
احتمال ألا يلحق هذا الكتيب بمعرض الكتاب قائماً .. بالنسبة لهم  
فى المؤسسة معرض الكتاب قد بدأ فعلاً ، والأمر يشبه من يتتبع  
ثياب الإحرام ويقصد المطار يوم وقفة ( عرفات ) ..

ليس هناك من يطالبنى بكم معين من الأعداد الخاصة .. إن  
التمسك بكم معين هو الطريقة المثلى كى يخرج الخبز من الفرن  
نينا أقرب للعجين ، ويخرج اللحم غير تام النضج ، وتخرج  
القصص مسلوقة غير مكتملة .. ولهذا السبب قد تصدر ثلاثة  
كتيبات خاصة فى عام واحد ، أو يصدر كتيب كل ثلاثة أعوام ..  
سيان ..

المهم أن يروق لكم ، وأن نقضى وقتاً مسلياً معاً .. ربما تبقى  
بعض الألياف فى المرشح كما تبقى بعض ألياف البرتقال بعد  
تصفية العصير .. لا بأس .. لعلها تكون ذات نفع يوماً ما فى  
لحظة بعينها ..

كان القرار الذى اتخذه المؤلف حتى أسابيع مضت أن يكون  
الكتاب الخاص هو أول أعداد سلسلة (فاتنازيا) الخاصة ، ثم



شعر بأن فكرة هذا الكتاب تلح عليه ، خاصة وقد كان ينوى أن يقدم ( الأبجدية ) فى الكتيب السابق ثم عدل عنها ..

كان كتاب ( 36 ) أقرب إلى طريقة السرد التقليدية ، فقط أنت تستطيع أن تنهى القصة بطريقتين .. وأعتقد أن كثيرين قد أحبوها خاصة أولئك الذين أصابهم الجنون من كهوف (دراجوسان) شديدة التعقيد ، وربما لم يخرجوا منها حتى هذه اللحظة .

لكننا اليوم نجرب خطوة أخرى نحو طرق السرد التقليدية .. يمكنك أن تقرأ هذا الكتاب كمجموعة من القصص القصيرة وينتهى الأمر ، أو يمكنك أن تتمسك بحقك فى رؤية شيء جديد ..

الأبجدية بدأت كنقطة ثم تحولت إلى نقطة .. فقط عليك أن تنظر لساعتك كي تعرف ما ينبغى عليك مواجهته ..

وفى النهاية ربما ينجح ( رفعت ) فى الإفلات أو لا ينجح .. المهم أن تقرأ وأن تعيش معه فى هذا الكابوس ..

الأبجدية ..

المصيدة التى نسج خيوطها ( لوكيريو ) باحتراف .. من هو ؟ ومذا فعل بالضبط .. أعتقد أن عليك أن تبدأ القراءة بدلاً من التساؤلات التى لا تنتهى ..

## تمهيد

قبل هذه القصة لم أكن أعرف ( لوكيريو ) ..

كنت سعيد الحظ بحق ، ولم أدرك أن حياتى باسمه مبهجة من دونه حتى ظهر ..

كنت - أذكر - فى ( نيروبي ) مدعواً إلى أحد تلك المؤتمرات التى لا تنتهى .. لها فقط مزية واحدة هى أنها تطلعك على الجديد فى كل مكان من العالم .. لها مزية واحدة أخرى هى أنها تكسر روتين حياتك .. وهناك مزية واحدة أخرى هى أنها تريك العالم ، وهو ما لا تقدر ملاليمك على أن تحققه .. هناك مزية واحدة أخرى هى أنك تطلع على ثقافات غريبة بعض الشيء ..

هل ذكرت أكثر من مزية ؟ غريب هذا .. طيلة حياتى أعتقد أن للمؤتمرات مزية واحدة فقط لا أكثر ولا أقل ..

كان هناك برنامج لا بأس به يحاول أن يرينا ( كينيا ) بسرعة كأن هذا ممكن .. وكانت الجولات تبدأ بعد العصر مع انتهاء الجلسات كما كان هناك يوم مخصص للجولات الحرة ..

على كل حال ليس هذا موضوعنا وإلا لسودت بضع صفحات فى وصف هذا البلد الجميل ..



المهم أنني حضرت أعمال هذا المؤتمر ، وكانت الورقة العلمية التي دعيت بسببها قد حدد لها اليوم الثالث من المؤتمر .. هكذا مرتدياً بذلتى الكحلية التي تجعلني فائتاً صعدت إلى المنصة ، وقدمت محاضرتي وسرني أنني كنت مملاً ، وأن عددًا لا بأس به من العلماء الكوريين نام فعلياً أثناء كلامي .. من الجميل أن تثير ملل من أثار ملك من قبل .. الانتقام طبق يجب أن يقدم باردًا كما يقول الغربيون ..

كنت مستعداً للكلام حتى تقوم الساعة لولا أن قرع مدير الجلسة على الميكروفون بأنامله ، وهي حركة مؤتمرات رشيقة تعني أنني تجاوزت الوقت .. هكذا نزلت من المنصة مستعداً للأسئلة .. لا أسئلة .. لابد أن تكون مفيقا كي تملك تساؤلات عن موضوع ما ، أما في حالة النعاس اللذيذة هذه يمكنك أن ترضى عن نفسك وعن الكون ، وتتصور أنك تعرف إجابة كل شيء .. خرجت من القاعة لأشرب بعض القهوة كي أتحمّل الساعات القادمة ..

قابلت جوار آلة القهوة الأستاذ الأفريقي ( ميشيل دوجوبى ) ومعه عالم فرنسي مرموق يدعى ( شارل لافاييت ) وكلاهما يحمل كوباً ورقياً يتصاعد منه الدخان ..

قدما لى التتهائى على ورقتى العلمية المثيرة .. إن موضوع ( الكرايوجلوبوليونيما ) يثير شغفهما .. طبعا لم تكن ورقتى العلمية تشير إلى ( الكرايوجلوبوليونيما ) بحرف واحد .. واضح أنهما خلطا بينى وبين أى محاضر آخر أصلع الرأس نحيل ..

شكرتهما على كل حال ورحنا نتكلم عن كل شيء .. المشكلة هي أنني لا أفقه شيئا في الفرنسية أكثر من مستوى الصف الثالث الثانوى ، وهما لا يعرفان عن الإنجليزية إلا بعض الأغاني .. لكن التفاهم كان ممتازا برغم هذا ..

قال لى الأستاذ الفرنسي :

- « هل ترغب فى أن تصحبنا فى جولة غد ؟ يقولون إننا سنرى بحيرة ( رودلف ) فى الشمال الغربى .. »

هذا هو ما فهمته من فرنسيته على كل حال .. فلربما كان يخبرنى أن طعم القهوة سيئ لا أكثر .. تساءلت فى غباء :

- « هل هذا رائع ؟ »

أعتقد أنهما فهما ما قلت .. أدعو الله ألا يكونا قد فهما أنني مصاب بمغص .. قال الأفريقي :



- « بحيرة (رودلف) هي التي يطلقون عليها اليوم اسم (توركاتا) .. هناك توجد قبيلة (توركاتا) التي برهنت أبحاث الحمض النووي DNA على أنها أقدم قبيلة بدائية في العالم .. »  
قال الفرنسي :

- « بمعنى آخر .. من لم ير (توركاتا) لم ير قبائل بدائية بعد .. »

بدالى الأمر مثيراً .. المهم ألا يضعونا في قدر ويلتهمونا .. ستكون هذه أغرب جولة سياحية رأيته في حياتي ..

(كينيا) حيث (كليمنجارو) و(الماساي) و(توركاتا) والمحميات الشهيرة بلد مثير بالتأكيد .. اعتقد أنني سأقبل هذا العرض ..

وكما يقولون في القصص الفكتورية العتيقة : ليتنى لم أفعل ..

\*\*\*

كنا نركب طائرة هليكوبتر تحلق فوق قرى التوركاتا .. أليس كالمستكشفين قبعة من القش وألبس سروالاً قصيراً تطل منه ساقاي النحيلتان .. هكذا أجبروني كي لا أبدو سخيلاً .. أى أننى الآن لا أبدو كذلك ..

من بعيد نرى البحيرة الشهيرة .. البحيرة التي تعج بالتماسيح والتي حاول النرويجيون أن ينشئوا فيها مشروعاً لصيد الأسماك وتعطيتها ، على أن يقدم أفراد القبيلة الأيدي العاملة .. هذا هو مشروع (نوارد) الذى أسفر عن كارثة وفشل ذريع .. لابد أنكم قرأتم هذه التفاصيل في قصة (سافارى) التي تحمل اسم (توركاتا) .. لن أكرر ما قيل هناك منعاً للملل ..

مررنا بقرى غريبة مثل (لوكتشوكيو) و(لوكتشمار) و(إليا) .. ثم بدأت الطائرة تهبط في القرية الأولى ..

إن قبيلة (توركاتا) التي يبلغ عددها 350 ألفاً جاءت من السودان أصلاً .. وما زال بعض أفرادها موجودين في جنوب السودان وشرق (أوغندا) وشمال (كينيا) حيث نحن الآن .. هذه مجموعة من القبائل يطلق عليها اسم (النيلية) لأنها جاءت من حول النيل أصلاً ..

لهذا يمكن فهم سبب أن اللغة التي يتكلمون بها تدعى اللغة النيلية Nilotic ..

كل رجل من الأهالى عار تقريباً ما عدا قطعاً من صوف الأغنام وجلود البقر يضعها فوق العورات .. ثمة عظمة تخترق



شفته السفلى ليبدو أجمل ، وقطعة من السلك يفرسها غرساً في لحم فروة الرأس بهدف إخافة القمل ، كأن القمل يمكن أن يجد الجراحة للمشى على هذا الرأس .. الطريف كذلك أن قبيلة توركانا هي أهم تجمع لداء الحويصلات المائية Hydatid cyst في العالم .. القبيلة كلها مصابة بهذا المرض . فهذه البطون المنتفخة لا تدل على كثرة الطعام بل على المرض ..

قال لي الأستاذ الأفريقى ( ميشيل دوجوبى ) الذى لم تكن هذه مرته الأولى هنا :

- « إنهم شديداً الحساسية ولا يميلون إلى الأجانب فحاول ألا تطيل النظر .. »

فيما بعد هذا بأعوام جاء عالم أنثروبولوجى مهم ولد فى كينيا ويدعى ( ريتشارد ليكى Lenkey ) ، أجرى عام 1984 حفريات هامة على ضفاف بحيرة ( توركانا ) فوجد هيكلاً عظماً لصبى مراهق .. هذا الهيكل تبين بالفحص الكربونى أن عمره يتجاوز مليوناً ونصف من الأعوام ، وقد اشتهر فى أوساط علم الأجناس باسم ( صبى توركانا ) .. الرجل حالياً مدير معهد دراسات التاريخ الطبيعى فى كينيا ..

تفرقنا فى القرية .. الحقيقة أننى زهدتها بعد عشر دقائق .. فلتز قرية واحدة تشعر بعدها بأنك رأيت كل شيء .. كانت هناك أحراش تحيط بالقرية من كل الجهات .. حاولت أن ألتقط بعض الصور للأهالى لكنهم كانوا عدوانيين جداً .. كلما وجهت العدسة نحو أحدهم زمجر فى ضيق وأدار وجهه ..

قال لى الطبيب الأفريقى الذى يجيد لغتهم :

- « هم يعتقدون أن الكاميرا تخطف الروح .. لا تحاول استقراهم بهذا الصدد .. »

هكذا دسمت الكاميرا فى جيبى أسفاً .. سيكون على أن أحتفظ بكل شيء فى ذاكرتى ، وعندما أعود لمصر أحكى لهم عن التوركنا التى .. التى .. لا شيء .. من دون صور سيكون الشرح عسيراً ..

كانت الضوضاء شديدة وشعرت بملل حقيقى .. لذا قررت أن أجوب المنطقة على قدمى ..

الأحراش .. اتوغل فيها لكن بحذر حريصاً على أن أبقي القرية فى مجال بصرى إذا استدرت للخلف .. أعرف ديدن الحمقى فى التجوال حتى يضلوا الطريق ، لكنى أذكر من هذا أو



أجبن .. لا أعتقد أن نمرًا سيهاجمنى هنا لأن صخب هؤلاء القوم يصم الأذان ، دعك من أننا فى الثانية عشرة ظهرًا .. فى كل صور المجلات المصورة التى رأيتها كان النمر يجر ضحيته الدامية فى ضوء القمر ..

مشيت بين الأحراش أكثر ..

فجأة توقفت ..

هناك وسط مساحة خالية من الأشجار كانت مجموعة من الأعواد الرأسية المغروسة فى الأرض ترسم دائرة .. وفى وسط الدائرة كان صنم أفريقى قبيح .. قبيح بمقاييس الجمال المجرد ، لكنه تحفة فنية حقيقية لو نظرنا بخبرة الناقد الفنى ..

صنم بارتفاع قامتى .. له شفتان غليظتان متدليتان وفى كل أذن قرط .. يمتد شفتيه فى اشمنزاز .. قرد قبيح جدًا .. له ذراع واحدة يرفعها إلى خده .. لا أعرف إن كان هذا (طوطمهم) أم مجرد صنم وثنى .. لقد جعل فرويد وفريزر القصة معقدة بشكل ما .. بالنسبة لنا هؤلاء وثنيون يعبدون حجرًا .. بالنسبة لفريزر وفرويد هناك تراث هائل من خبرات التابو وراء هذا الشيء الكريه .. إنه بالنسبة لهم يمثل طفولة البشرية ومولد العصاب .. إلخ .. لقد قرأت كتاب الأخير (الطوطم والتابو) فلم أفهم إلا أنني لم أخلق لأكون محلاً نفسيًا ..

دنوت من الصنم أكثر .. هنا خطرت لى فكرة طفولية خبيثة .. نظرت حولى .. لا أحد يراى .. هذا الشيء لا ينفع ولا يضر وهو رمز لحماقة البشر وغبائهم .. لا شك أنه مما يسعد أى متدين أن يضربه على قفاه أو يحطمه .. لكنى لن أفعل ذلك بالضبط ..

فقط نزعته قبعتى ، فوضعتها فوق رأسه ثم أخرجت لفافة تبغ دسستها بين شفتيه الغليظتين .. نزعته ساعة معصمى وأحطت بها معصمه النحيل ...

بدا منظره مضحكًا جدًا كقرد يدخن .. وهذا القرد رجل أعمال كذلك ..

وجدت صخرة عالية فوضعت عليها الكاميرا وقمت بتشغيل توقيت الالتقاط التلقائى ، ثم جريت لأقف جواره .. هكذا انطلق غالق الكاميرا ليسجل هذه الصورة الطريفة لنا معًا ..

كليك !

هنا افتتح باب الجحيم ..

\*\*\*



## البداية

في اللحظة التالية رأيت ذلك الوطنى الأسود النحيل الذى يغطى رأسه بالريش ويحيط عنقه بالقواقع يخرج لى من الأحراش ...  
كان غاضباً غضبة مخيفة .. عيناه توشكان على مقبرة محجرتيهما .. يرتجف غيظاً .. يقول كلاماً كثيراً ، وهو يشير لى بإصبعين مفتوحين مشدودين كأنهما مغلبان ..

استعدت قبعتى والكاميرا بسرعة وتراجعت ..

لا داعى للتفسير .. هذا المخبول هو ساحر القبيلة ، وقد رآنى أهين صنمهم بطريقة مفرعة ..

من الغريب أنه لم يهاجمنى .. وفهمت أنه على الأرجح يخشى ذلك .. لقد صرت من التابوو أى أن لمسى صار محرماً .. ( تابوو ) لفظة بولينيزية معناها ( المحرم ) ..

تراجعت بظهرى وأنا أنظر للخلف ..

رأيت مصراً على المشى ورائى وهو لا يكف عن الكلام .. وطيلة الوقت كان إصبعاه مفرودين نحوى وعيناه تجحطان .. برغم هذا احتفظ بالمسافة بيننا .. لم يقصرها فیهجم ولم يطلها فيتركنى وشائى ..

عندما خرجت من الأحراش إلى القرية كان الوضع قد تغير تماماً ..

لقد وقف للتوركنا حولنا فى دائرة والغضب يطل من عيونهم .. يسيبون ويلوحون بأذرعهم لكنهم يخشون الاقتراب منى .. شعور مفرع أن تدرك أنك هدف هياج الجموع .. كان الله فى عون الطاغية الذى يثور شعبه عليه ..

ودنا منى الطبيب الفرنسى ليسألنى فى لهفة :

- « ماذا فعلت ؟ »

قلت وأنا أنظر حولى :

- « دنست صنمهم على سبيل المرح .. »

هنا جاء الطبيب الأفريقى ( دوجوبى ) وقال فى رعب :

- « أنت ارتكبت حماقة لا توصف .. »

ثم راح يكلم الساحر بلفته .. وهذا الأخير يكرر ذات المقاطع من الكلام ..

قال لى الأفريقى :

- « هو ( لوكيريو ) .. كل ساحر عند ( التوركنا ) اسمه ( لوكيريو ) .. يعتقدون أنه يمثل الآلهة ... هو يوحد القبيلة ويحرم



السرقه داخلها ، لكنه يسمح لهم بسرقة المواشى من القبائل الأخرى .. »

ثم قال وهو يشير إلى الطائرة :

- « سوف نختصر هذه الزيارة حرصاً على سلامتك .. هيا بنا ! »

وهرعنا جميعاً إلى الطائرة .. الغربيون يصنعون بأجسادهم حاجزاً حولي ، بينما الأهالي يموجون ويثورون ..

المحرك يدور والطائرة ترتفع ، بينما ذلك الأخ ( لوكيريو ) يقف على الأرض في ثبات مصرّاً على أن يصوب نحوى مخابيه الحادين .. لو أن النظرات تقتل كنت نسيّاً منسياً منذ زمن ..

الطائرة ترتفع وهو يصغر .. القرية كلها تصغر ..

فقط لتتحول من السماء إلى عش من النمل الهائج الغاضب ..

\*\*\*

كان العشاء مرحاً في الفندق .. انفجر الجميع ضاحكين بينما الطبيب الفرنسي يحكى لهم ما قمت به من حماقة .. ضحك البعض حتى شرقوا بما في فمهم وسعلوا ..

قال لي :

- « من حسن حظك أن قوانين التلبو تعمل هنا .. ( رافائيل متى ) أو ( كونجو ماسا ) الذي كان خبيراً في إفريقيا ارتكب خطأ ممثلاً .. دخل إلى معقل قبيلة في عيد ديني من أعيادها حيث يحرم على الغرباء الاقتراب .. هكذا مزقوه لساعته .. لولا التلبو ولعدنا بأشلاك إلى الفندق .. »

كنت مهزوزاً بفعل تجربة الصباح .. لقد كانت غلطة فادحة بحق ، لكن كيف لي أن أعرف أن ذلك الشيطان سيرانى ؟

نظرت بطرف عيني إلى ذلك الطبيب الأفريقى ( دوجوبى ) فلاحظت أنه ساهم لا يشاركنا المرح .. فقط التفت عينانا فقال لي في كياسة :

- « أنت لم تترك عندهم أى أثر منك ؟ »

- « لن نعود لهذا السخف .. »

- « فقط أجب عن سؤالى .. »

تذكرت ما قمت به لحظة التصوير .. ثم تحسست معصمى .. الساعة ليست هناك .. ما زالت حول ساعد ذلك الصنم .. كانت ساعة ثمينة وإنها لخسارة فادحة ، لكنى بالطبع لن أعود لأطلبها منهم في كياسة ..

- « ساعتى .. »



اتسعت عيناه فى خطورة ثم راح يلتهم طعامه ليتشاغل عنى ..  
قلت له فى غيظ :

- « لا تحدثنى عن السحر بالافتران من فضلك .. »

- « لكنه هو ما أتكلم عنه فعلاً .. »

أرجو أن أكون قد أسأت الفهم .. ربما هو لا يتكلم عن السحر بالافتران ، بل يتحدث عن أن العشاء لذيق .. إن تلك اللغة الفرنسية تثير جنونى .. لست غيبياً بشكل خاص لكن عقلى ظل كالحصن المستعصى على مفرداتها وتصاريق أفعالها ..

قال لى وهو ينهض :

- « أعتقد أننا يمكن أن نتكلم فى الشرفه بشكل أفضل .. »

\*\*\*

حتى وأنت فى مدينة متحضرة مثل ( نيروبي ) فإن الليل الأفريقى لا يمكن السيطرة عليه .. هذه الرائحة القادمة من القرى النائية .. من الأسود المتوارية تحت الأشجار تترصد عكس الريح بقطعان الظباء .. من التماسيح المتصارعة فى الأنهار .. من الأعشاب الطبية التى يحرقها السحرة .. من الأشجار الصلاقة فى المحميات ..

هذه الرائحة تتسرب إلى رنتيك فترتجف شاعراً بأنك ضليل حقاً ..

قال الدكتور ( دوجوبى ) وهو يملأ رنتيه بالهواء :

- « نحن لا نؤمن بقدرات خارقة لدى هؤلاء السحرة ، لكننا كذلك لا نتجاهلهم .. إن بعض الـ ( لوكيريو ) يملكون قوى لا شك فيها .. والمهم هنا أنك استفزرتهم أكثر مما يستطيعون التحمل .. ما كان يجب أن تقوم بهذه الدعاية .. لاحظ أننى لا أتكلم عن أية قدرات لدى ذلك الصنم القبيح ، لكنى أتكلم عن قدرات لدى الساحر .. هل يستطيع فعلاً عمل ما يزعم أنه قادر عليه ؟ »

نظرت له فى الظلام وتساءلت :

- « ما الذى يزعمه ؟ »

- « قال لك حاولت خطف صنمهم وأهنته بالكاميرا .. لذا سيقوم هو بخطف روحك .. يقول لك ستتعب بعد ساعات اليوم فى دهليز الكوابيس ومع الأجدية .. وأنتك ستشهى الموت فلا تناله .. »

- « هذا فحسب ؟ ظريف جداً .. »

- « لاحظ أنك تركت ساعتك هناك .. فهل يعنى هذا شيئاً ما ؟ »

ولرتجفت للفكرة ..



حقاً ليس من المستحب أن أترك شيئاً منى لدى هذا القرد الوشى الغاضب .. ربما هو تراث ( الأثر ) الذى تلقيناه من جيل الأمهات والخالات .. لماذا كانت أمى تأمرنى بالتخلص من بقايا قص أظفارى وشعرى فى الحمام ؟

فى الأسبوع التالى انتهى المؤتمر وعدت إلى مصر ..

لم أقم بتحميض الفيلم لأننى شعرت بتقباض بالغ منه .. تبدو فكرة سخيفة ، لكنى بالفعل تشاءمت من أن أحتفظ بصورة لهذا الصنم ..

هكذا عادت حياتى إلى انتظامها ولم يعد من قصة ذلك الـ ( لوكيريو ) إلا ذكرى مبهمه تزورنى فى بعض الكوابيس .. مهما بلغ إيمانك بالعلم فأنت لا تستطيع إلا أن ترتجف إذا رأيت سحراً غاضباً فى كوابيسك .. خاصة إذا كان بشع الخلقة تساقطت أكثر أسنانه ..

كان يتكلم بلغته .. ذات الكلمات التى سمعتها لكنى الآن أعرف ترجمتها .. وكنت أصحو غارقاً فى العرق وأذهب إلى الحمام ثم أشعر بالنشوة الحقيقية لكونى أحلم .. ليس شئ من هذا كله حقيقياً .. هذا رائع ..

هكذا مر 24 يوماً على ذلك التاريخ ..

وفى ذلك اليوم صحت من نومي عند الظهيرة .. لم يكن لدى عمل فى ذلك اليوم .. أحياناً أشعر بضيق لأننى لا أملك عبادة

خاصة .. وأحياناً أغبط نفسى على أن الوقت منكى .. لو كنت أملك عبادة لجريت كالمجنون لأستعد لفترة الظهيرة ، لكنى أشعر باسترخاء تام .. ساعد غذائى على مهل ، ثم ريم أعود للنوم بعده .. فى المساء ريم أزور شخصاً ما أو أجلس وحيداً أطلع

فتحت باب المطبخ فقابلت مذعوباً !

نعم .. لا يوجد خطأ مطبعى هناك . Sic أو ( كذا ) كما يقولون فى النص اللاتينى .. هناك مذعوب فى المطبخ ! سأعفيك من التفاصيل تاركاً إياها لخياك الخصب .. مذعوب عادى ضخم فى المطبخ .. ألم تمر بهذا الموقف من قبل ؟

أغقت الباب وأنا لرتجف قبل أن ينقض هذا محاولاً الخروج .. راح يضرب الباب عدة مرات والباب يرتجج لكن باب مطبخى من انظرار القوى ..

مذعوب فى الثانية عشرة ظهراً ؟ لم أسمع قط عن مذعوب صباحى .. دعك من أن القمر غير مكتمل ولن يكتمل قبل أسبوع .. هذا مذعوب ( مضروب ) تماماً إذا سمحتم لى بهذا التعبير ..

أنا أهذى .. هذا واضح .. من الصعب أن يعرف المجنون أنه جن ، لكنى من هذا الطراز .. هكذا استرحت لهذا الخاطر خاصة وأن صوت ضرب الباب توقف .. فتحت الباب فلم أر شيئاً ..







« يقول إنك ستتعب بعد ساعات اليوم في دهاليز الكوابيس ومع الأجدية ، وأنت ستشتهي الموت فلا تناله .. »

هنا فقط تذكرت وتوترت ..

لقد حدث شيء في الثانية عشرة والواحدة بعد الظهر والثانية والثالثة ..

فعلاً كنت أتعب بعد ساعات اليوم . لكن ما معنى ( مع الأجدية ) ..

لقد هاجمني مذبذب .. ثم رجل عث .. ثم رأيت نكروماتسر ثم رجل ثلوج ..

هل يعنى هذا أى شيء ؟

م .. ر .. ن .. ر ..

أمسكت بقلم وورقة ورحت اكتب الأسماء .. ميم ثم نون ليس هناك ذات الترتيب في العربية والإنجليزية .. لكن .. من قال إن هذا الساحر استخدم العربية ؟

وما علاقة هذا بساعات اليوم ؟

جاءت القهوة فلم أعرف أنها جاءت لأنى كنت منهمكا بحق .. وبصوت عال رحى أردت حروف الأجدية العربية والإنجليزية كأننى فى روضة أطفال حتى راح الحالسون ينظرون لى ويتصغبون .. كتبت الحروف اللاتينية فى جدول حسب ترتيبها . فكانت النتيجة كما يلى :

|    |    |    |    |    |    |    |
|----|----|----|----|----|----|----|
| A  | B  | C  | D  | E  | F  | G  |
| 1  | 2  | 3  | 4  | 5  | 6  | 7  |
| H  | I  | J  | K  | L  | M  | N  |
| 8  | 9  | 10 | 11 | 12 | 13 | 14 |
| O  | P  | Q  | R  | S  | T  | U  |
| 15 | 16 | 17 | 18 | 19 | 20 | 21 |
| V  | W  | X  | Y  | Z  |    |    |
| 22 | 23 | 24 | 25 | 26 |    |    |

يمكن القول إننى هوجمت بوساطة الكائنات التالية :



Werewolf

Mothman

Necromancer

Yatti

من الغريب أن رقم الحرف يتطابق مع الساعة في حائتي الرجل العث والنكروماتسر . الواحدة ظهرا هي في الحقيقة الساعة 13 .. والثانية هي الساعة 14 .. إذن ؟

ما هاجمنى الساعة 15 يجب أن يبدأ اسمه بحرف O لو كنت على حق .. لكن كيف .. هنا تذكرت الملامح الآسيوية . هناك أكثر من رجل ثلوج أو ( رجل - فرد ) في العالم .. يمكننى أن أذكر دسنة من هذه الرئيسيات الغامضة التى يخشاها الأهالى ويراهها المستكشفون من بعد ، فلا يلتفتون لها صورة واضحة أبدا .. منها الماسكواش والياتى و .. وأورانج جادانج Orang Gadang ...!!! اسمه يبدأ بحرف O لو كنتم قد لاحظتم ..

إبنى على حق .. بالتأكيد على حق ..

إذن لابد أن يكون ما هاجمنى الساعة 12 يبدأ اسمه بحرف L .. هذه المرة لم أجهد تفكيرى كثيرا لأن المذهوب هو اللايكثروب Lycanthrope فى الثقافات اللاتينية .. الكلمة التى استخرج منها العرب لفظة ( القطرب ) ..

ورشفت رشفة سخية من القهوة ..

لتضح الأمر وإبنى لأحب الأمور المنطقية .. هذا يضاف على الكون لمسة ( غنية ) محببة ..

الأمر إذن كما يلى :

هذه اللغة التى حلت بى سلطت على كل مسوخ وشياطين العالم فيما يبدو .. لكن طريقة العقاب مرتبطة بالساعة ، والسبب لئنى تركت ساعتي لدى هذا الأخ ( لوكيريو ) ..

فى كل ساعة من اليوم أواجه خطرا مرعبا .. والحرف الأول من اسم هذا الوحش يتطابق فى ترتيبه الأبجدى مع الساعة ..

يمكن القول بلا خطأ كبير لئنى فى الساعة الرابعة - أى الساعة السادسة عشرة - سأواجه خطرا يبدأ بحرف P .. ترى ما هو .. لا أجد فى ذهنى أى مصغ يبدأ بحرف P فى هذه اللحظة ..

يجب أن أجد موسوعة المسوخ التى أحتفظ بها فى بيتى وأدرس الحروف بعناية .. لا أذكر إن كنت استعملتها لتسند رجل المكتب المكسورة ، أم لئنى أرفع بها الفراش لأمنع الارتجاع الحمضى ليلا .. الآن صارت مهمة جدا ..

\*\*\*

والآن ليها القارئ العزيز يمكننا أن نبدأ ..



انظر فى ساعتك . لا تعبأ بالكسور طبعا .. وانظر للجدول  
واختر من الأبجدية الحرف الذى سيكون عنيتك مواجهته معنى ،  
ثم انتقل للفصل الذى يحمل اسم هذا الحرف .. لن أستمع أرقام  
الصفحات منعا لحدوث اختلافات أثناء الطباعة .

طبعا يمكنك أن تقرأ الكتيب كأي كتيب آخر من بدايته لنهايته  
بدلاً من هذه الألعاب السهلواتية ، لكنى أفترض أنك تبحث عن شيء  
مختلف وأنتك تتمتع مثل الأخ ( لوكيريو ) بالميل إلى المرح .  
أفضل أن تجرب على مدى ساعات اليوم وفى عدة أيام ، فهذه  
الطريقة لا تعرف أبداً ما ينتظرك مع الأبجدية ..  
الأبجدية ..

المصيدة التى نسج خيوطها ( لوكيريو ) باحتراف .. هل أنجو  
منها ؟ أعتقد أن عليك أن تبدأ القراءة بدلاً من التساؤلات التى  
لا تنتهى ..

لقد بدأ الأخ ( لوكيريو ) المرح ، فلن تنقذنا منه إلا معجزة ..

\*\*\*



الواحدة صباحاً ..

انتظرت كثيراً جداً أن يحدث شيء .. أى شيء ..

أقف فى شقتى بكامل ثيابى أنتظر ..

انتظر ( ابراكساس ) ... ( عزازيل Azazeel ) .. ( أبيجور ) ..  
وماذا عن العزيف Azeef وأزيموديوس ؟

كلها مسوخ وشياطين كارثية ..

لكن شيئاً لم يحدث ..

من الواضح أننى مخطئ وأن النظرية كلها مجرد وهم ..

لم أنه ينتظر ..



## B

الثانية صباحاً ..

أنا في مكان من أيرلندا ..

لا أذكر هذا المكان .. لمعت ذا خبرة كبيرة بأيرلندا على كل حال ، لكنى أعرف كل شيء عن اسكتلندا كما تعرفون ..

فقط أنا مدثر بالثياب كالدب ، وعلى رأسى قنسسوة صوفية كتنا فى سيبيريا .. السبب واضح هو أن الجليد فى كل مكان .. هناك بيوت خشبية بسيطة لكنها عصرية .. وهناك نيران فى الداخل .. هذه إذن قرية أيرلندية صغيرة ..

تجهت إلى باب من الأبواب وقرعته .. لا أحب زيارة من لا يرغب فى قدومى .. بالأحرى لا أحب زيارة أحد على الإطلاق ، لكن للضرورة أحكامها .. أنا لا أشعر بقدمى من البرد واحتمال قسوة للصقيع وارد .. لا أريد فقدان المزيد من الأصابع ..

أدق الباب عدة مرات فلا يرد أحد .. فقط أسمع صوتاً من الداخل .. هناك من يتكلم .. لكن لا أحد يفتح لى ..

جريت بلهاً ثانياً فثالثاً .. لا جنوى ..

القصة إذن من الطراز الشائع إياه .. الفلاحون حول النار لا يفتحون أبوابهم فى هذه الليلة بالذات لأن الشياطين تغادر معانئها أو الموتى يخرجون من قبورهم .. ربما المذعوب يجول حراً .. أى شيء ..

لا أعرف بالضبط .. المهم أنهم لن يفتحوا .. وهذه أسوأ ليلة ممكنة كى أكون هنا .. لا أخاف المسوخ .. أخاف التجمد ..

حرف B .. تر ما الخطر الذى يحمل هذا الحرف . ( برد ) ؟ فقط لو كان ذلك الأخ ( لوكيريو ) ينتقل بين العربية واللاتينية بحرية ..

فجأة سمعت صوت العويل ..

صوت عويل مخيف كأنه عواء ذئب أو صراخ غراب . هذا جمد الدم فى عروقى ..

من أين يأتى ؟

هناك جوار هذه الأشجار التى يكسوها الثلج كانت تلك الفتاة منكشمة على نفسها تطلق هذا العواء ..

دنوت أكثر فوجدت فتاة بارعة الحس رقيقة جداً . ازرققت أطرافها فبدت كشبح . كانت تتجمد فعلاً ..

- « من أنت ؟ »

- « أنا ( ماري ) .. »

طبعاً كان الأمر واضحاً بالنسبة لى .. هذه هي الجنية التى حبسوا أنفسهم فى البيوت خوفاً منها ، وأنا الأحق الوحيد الموجود فى الخارج معها .. هذه هي تقاليد القصص المرعبة .. لكن ملامحها بددت الخوف من نفسى .. كانت هشة فعلاً خائفة فعلاً .. لو لم تكن هذه كائنًا بشرياً فمن أكون أنا ؟ لابد لئلى ميت منذ عشرين عاماً إذن ..

- « لماذا تبكين ؟ »

قالت بلهجة إيرلندية تصلح للتدريس :

- « بيتى هناك .. » - وأشارت إلى أحد الأكواخ - « لكن أهلى لا يريدون أن يفتحوا لى .. هم خائفون لأننى تأخرت فى العودة .. »

- « جميل .. وهذا مبرر كاف لتركك تتجمدين حتى الموت هنا .. أحب هذا الحماس القوي .. »

ابتسمت ابتسامة شاحبة أشاعت للقاء فى قلبى لمتجمد ، وقالت :

- « ليس هذا عقاباً لى .. إنما هي الليلة التى يخرج فيها الشيطان ( بيليل ) .. هم يخشون أن يفتحوا الباب لى فيدخل ( بيليل ) .. »

( بيليل ) من أتباع ( إبليس ) المعروفين فى الثقافات الغربية . اسمه يبدأ بحرف B ومعنى هذا لئلى عرفت مغمرتى القادمة .. الدفاع عن هذه الحسنة ضد شيطان ..

كنا تترجف بصف . ثم أطلقت ذلك العواء الخارج من أعماق قلبها ..

هنا استبد به مزيج من الغضب والشفقة والرعب .. هؤلاء الحمقى يتركون الخرافة تقتل هذه الفتاة الرقيقة .. سوف يتركونها حتى تتجمد ، وهى تعوى ألماً بدعوى وجود شيطان بالخارج ، وفى الصباح سيقولون إن الشيطان هو الذى قتلها وليس غباءهم الشديد ..

الفتاة تعود الصراخ ..

هكذا مشيت فى حزم أجز قدمى وسط الثلوج حتى بلغت ذلك الكوخ ..

دققت الباب مراراً وصحت :

- « أنتم أيها البلهاء ! الفتاة ستموت من البرد ! لو لم تفتحوا لأبلغت الشرطة ! »

طالت المحاولة والصراخ بلا جدوى ..



فجأة سمعت من يتكلم بالإيرلندية من الداخل . ثم انفتح الباب بصعوبة .. رأيت وجه امرأة عجوز ووجه شاب من الطراز الإيرلندي العصبى إياه ..

قال الشاب لأمه :

- « إته رجل يا أماء .. »

قلت أنا فى عصبية :

- « ولست (بيليال) أبضاً »

هنا تنحّت المرأة عن الباب لتسمح لى بالدخول .. هناك كانت المدفأة مشتعلة حولها يجلس ستة أفراد ينظرون لى فى شك .

راح الثلج يذوب عن كتفى وحاحبى .. نار . نار !

لم أدر متى وضعت العجوز قدحا من الشاي الساخن فى يدى فرحت أعتصره فى نهم قبل أن أشربه . وسرعان ما وجدت سلطانية ملينة بحساء ساخن كذلك فرحت أشربه دون أن أسأل عن محتواه ..

قالت للمرأة :

- « معذرة .. إن زوجى مريض لهذا لا نفتح ثغرياء .. »

- « أفهم هذا .. وموضوع (بيليال) هذا . »

قال الفتى فى عصبية :

- « ما (بيليال) هذا ؟ منذ رأيناك وأنت تكرر الاسم .. »

- « السبب فى إغلاق أبوابكم .. ولكن .. »

وتذكرت على الفور سبب مجيئى . يالى من غيبى :

- « ابنتكم تبكى بالخارج ! .. يجب أن تدعوها تدخل .. »

هنا تبادلت المرأة نظرة مع الشاب .. توجهت إلى النافذة وأزاحت الستار .. كان الثلج يكسوها من الخارج والرؤية مستحيلة ، لذا أحضر الفتى شمعة ألصقها بالزجاج . بعد قليل بدأت دائرة تتكون وسط الثلج .. وأمكنا أن نرى ما يدور بالخارج ..

لم يكن ما رأيناه محبباً ..

كانت الفتاة (مارى) تلصق وجهها بالنافذة وترنو إلينا فى ثبات دون أن ترمش عيناها .. على شفطتها ابتسامة قاسية جمدت الدم فى عروقى ..

همست العجوز ، وهى ترسم علامة الصليب :

- « هذه ليست ابنتى ! »

ثم أعادت الستار وهتفت فى الفتى :

- « لأذهب لترى أباك .. »

جرى الفتى وجريت معه .. أنا طبيب وربما كان هناك ما أقدر على عمله ..

غرفة نوم ضيقة .. فراش .. عليه رجل عجوز منثر بالأغطية .. لكن عينيه شاخصتان إلى المجهول .. لم أحتج إلى أن أتحمس نبض عنقه .. إنه ميت جداً ..

نظرت للفتى ونظر لى ..

وعلى باب الغرفة رأيت المرأة .. كانت تنظر لنا نظرة معانها ( هل كان ما توقعناه صحيحاً ؟ ) .. قال الفتى :

« لقد توفي يا أماء .. »

فقدت المرأة قدرتها على الوقوف ونهاوت قدمها ..

قال الفتى وهو يساعدها على النهوض :

« لقد سمعت الباتشى Banshee تقول فى الخلاء أمس ولم أرد أن أصدق .. لكننا الآن رأيناها تطل من نافذتنا ! »

هنا فقط تذكرت ..

لقد كانت قصة ( بيليل ) هذه نوعاً من التضليل .

( الباتشى ) تلك الجنية التى تجدها فى أساطير الإيرلنديين والغال منذ القرن الثامن الميلادى حتى اليوم .. التى تعوى خارج البيت فيعرف سكانه أن واحداً من أفراد الأسرة سيَموت ..

قد يكون عواؤها رقيقاً حزيناً إذا كانت تحب أفراد الأسرة ، وقد يكون مريعاً مخيفاً إذا كانت تكرههم ..

هناك أمر بعينها ارتبطت بالباتشى .. وما حدث لى هو أننى جلست مع الباتشى وتبادلنا الحديث . وحاولت أن أسمع لها بالدخول ..

لم تكن تعوى من البرد ..

كانت تنذرهم بموت رب الأسرة ..





بين الظواهر الكونية الغامضة تتكرر بكثرة تيمة ( الإنسان - القرد ) الذى يمثل حلقة مفقودة ما .. أشهر مثالين لهذا هما ( اليتى ) فى لاهماليا و ( الماسكواش ) فى غابات أمريكا الشمالية .. هناك فى كل قارة ستة من هذه المخلوقات .. كل القصص متشابهة على كل حال .. هناك من رأوه فى الدغل من بعيد وفر منهم .. العالم الفلاتى رآه والنقطة صورة .. وترى الصورة فتجد ظلاً مبهماً بين الأشجار يمكن أن يكون كرسي حمام أو ( مارلين مونرو ) أو زوج خيالك .. لكنك ترى هذا العالم بثياب المستكشفين وقد أطال شعر شاربه وجعله يتصل بسالفه . والغليون بين شفتيه . فتؤمن أن ما يقوله صادق ..

نحن الآن فى إحدى غابات الأمازون .. الظلام دامس فيم عدا نار المخيم التى أشعلناها ..

نحن فى أمريكا الجنوبية إذن . لا أعرف كيف ولماذا جئت هـ . لكن الأخ ( لوكيريو ) أراد ذلك ..

أنا مع فريق من العلماء الذين يعملون لدى ( ناشونال جيوغرافيكس ) .. معاً مصورون علميون ممتازون وعدد من الوطنيين ..

هذا طبيعي .. لو لم تهتم ( ناشونال جيوغرافيكس ) بذلك المخلوق الغريب الذى يُشاهد كثيراً فى هذه الغابات فمن يهتم ؟ يقول د . ( دوجلاس ماهون ) العالم الأمريكى الشهير :

- « روح الدغال .. هذا هو ما نبحث عنه .. أحياناً يطلقون عليه اسم ( متويو ) .. »

سمعت الاسم ونظرت لساعتي .. الثالثة صباحاً .. أسف يا شباب ليس هذا هو المصغ الذى يجب أن أقابله .. مسخى الخاص يبدأ اسمه بحرف C .

لابد أننى سأقابل ذلك المصغ أثناء بحثنا عن هذا ( متويو ) .. كن الوطنيون يشوون غزاً وهم يثرثرون بالإسبانية أو لغات محلية أخرى .. ملت لسأل العالم الأمريكى :

- « هل تتوقع أن تجده برغم هذا الصخب .. مشكلة هذه الكائنات أنها لو وجدت تكون خجولاً جداً .. »

- « على الأقل سوف نجمع شهادات الشهود .. معنا مترجم . لا أمل فى الكثير من الحظ الحسن .. »

جاءت (مارجريت) العالمة التي تعمل مع هذا الفريق ، وقالت في شيء من الحرج :

- « مشكلة المرأة هي أنها لا تجد حريتها كاملة عندما تكون مع فريق من الرجال .. أريد قضاء حاجتي ولكن .. »

بما عُرف عني من تهذيب وكياسة لُثرت لها خلف حزام الأشجار وقلت في مرح :

- « لذهبي إلى أي مكان هناك .. لديك غابات الأمزون كلها ! »

لكن وجهها احمر وددت مني أكثر لتهمس :

- « أنت لا تفهم .. لا بد من شخص يرافقني .. أنا لن أجتاز هذه الأشجار وحدي .. وبما أنك جنتلمان .. »

وהל عُرف عني أنني خبير في مرافقة النساء الراغبات في قضاء حاجتهن ؟ شيء يثير الغيظ دك من أنه لا يخلو من إهانة .. لماذا أن بالذات ؟ المرأة لا تخجل ممن لا تعتبره رجلاً .. تذكر كيف تنزع الملكة ثيابها أمام الأغوات بلا خجل لأنها لا تراهم رجالاً على الإطلاق .. من المفيد لصحة الرجل النفسية أن تخجل منه المرأة وتهابه نوعاً ..

لكن اللياقة هي اللياقة ..

هكذا نهضت .. أخذت كشافاً كهربياً ، فقال لي العالم الأمريكي باسمًا ، وقد فهم ما هناك :

- « لا تتأخرا ولا تتوغلا بعيداً .. »

قلت في رقة :

- « هذا يتوقف على إصابتها بالإمساك من عدمه .. »

ومشيت والعالمة الأمريكية خلفي لتجتاز نطاق الأشجار .. مشينا مسافة لا بأس بها أبداً ..

دخلنا بقعة مظلمة .. فتشت بدقة عن أرض نظيفة جافة وسط هذا المكان الرطب الذي يذكرك بمستنقع .. الرطوبة عالية جداً والحشرات توشك على أن تمزقك ..

نظرت لأعلى بالكشاف كي أتأكد من أن شعبان الأناكوندا المعتاد لن يشب من الشجرة ليخنفها .. ولا الفهد كذلك .. ثم فتشت الأرض بعناية كي أتأكد من أنه لا يوجد أي عقرب من عقارب أمريكا الجنوبية القاتلة ..

لحظة ..

كان هناك وحش هنا .. هذه الأقدام المخملية تدل على ذلك .. لكنه قد ابتعد على كل حال .. لا أعرف نوعه لأنني لم أكن في فريق الكشف ..



أشرت لها إلى البقعة وقنت وأنا ابتعد :

« خذى راحتك .. أنا واقف خلف تلك الأشجار .. »

أظرف ما فى الموضوع انها تعتقد أنني قادر على مصارعة ذلك الفهد الذى سيثب فوقها ، أو أن أحطم عظام الأناكوندا التى ستهشم قفصها الصدرى .. لسبب ما اعتبرتني ( طرزان ) ..

وقفت أنتظر وأصغى للغابة ..

لا أدري هل أنا أحلم أم أن هناك ضوضاء تأتي من جهة المعسكر .. لابد أنهم يحتفلون .. لابد أن فريق ( ناشونل جيوغرافيك ) يصور هذا كله .

بعد قليل عادت لى ( مارجريت ) وقالت إنها شاكرا .. هزرت رأسي .. فقط التعبير الوحيد الممكن عن الشكر هو ألا تلمسينى من فضلك لأنه لا يوجد ماء هنا ..

ومشيت معها هالدين إلى المعسكر ..

معسكر ؟

\*\*\*

لم يعد هناك شيء ..

المعسكر كما عرفناه تحول إلى فوضى كأن قنبلة ذرية انفجرت

فيه ..

النيران تشتعل .. المقاعد مقنوبة .. الخيام ممزقة .. هناك ثلاث جثث ممزقة الحنوق منقذة هنا وهناك ..

نظرت لها ونظرت لى فى رعب ...

ماذا حدث ؟ وهل تأخرنا عشر دقائق لم عشرة أيام ليحدث هذا كله ؟

ماذا جرى هنا ؟ لا يوجد جرحى .. أين الباقون ؟ لا يوجد من يحكى لنا أى شيء ..

قالت بصوت كالضحك :

« ( متويو ) ! »

« هل هو قادر على هذا ؟ لو كان هو ( كنج كونج ) ذاته فلا أحسبه يستطيع هذا بتلك الممرعة .. »

« إنه شرس سريع الحركة .. بالفعل لا أحد سواه يقدر .. »

ثم أشرت إلى آثار أقدام على الأرض الترايبية وهتفت :

« هل ترى ؟ كان هنا ! »

نفس الآثار التى رأيتهما عندما انتظرتها .. لكن .. الآثار التى رأيتهما كانت تباعد باتجاه الغابة .. متى جاء هذا هنا ؟

دوى صراخ وحشى بين الأشجار فهتفت .

« لربما عاد .. ! .. يجب أن نفر من هنا .. »

هكذا انطلقنا في الأحراش لا نهتدي بشيء إلا ذلك الكشاف ..  
كانت فكرتي بسيطة جداً هي أن نمشي في اتجاه غير الذي تتجه له  
أثار الأقدام الواضحة في الوحل .. على الأقل نحن نبتعد بهذه  
الطريقة ..

مشينا كثيراً جداً .. والمشي في غابة الأمازون كابوس لا يمكن  
وصفه .

لا أعرف كيف لكن أثار الأقدام تزداد قوة ووضوحاً برغم أن  
ذلك الكائن مشى من هنا منذ ما لا يقل عن ثلاث ساعات ..

فجأة توقفنا ..

رأيت في ضوء الكشاف ذلك الصبي الصغير يجلس القرفصاء  
على حجر بين الأشجار .. كان ينظر لنا ..

عارى الجذع يبدو واضحاً أنه من أبناء القبائل هنا ..

دنونا منه أكثر . رفع وجهه نحوى . هنا أطلقت شهقة .

كانت عيناه حمراوين بلون الدم . وله أذنان مدببتان ككل  
جنى غابة يحترم نفسه .. وحينما فتح فاه رأيت أن أسنانه ذات  
لون أخضر كأنه كان يلوك بعض الأعشاب ..

هذا الصبي جنى غابة أو شيطان ، لا شك في هذا ..

تراجعت بينما هو ينظر لى بثبات ..

قالت ( مارجريت ) وهي تمسك بيدي :

« إنه الكوروبيرا ! .. فليرحمنا الله ! إنه الكوروبيرا  
« Curupira »

قلت لها في دهشة :

« كنت تتحدثين عن وحش آخر هو الـ ( ماتويو ) .. »

« هما نفس الشيء .. إن له اسمين ! »

الآن أفهم .. هذا هو حرف الـ C الخاص بـ .. شيطان  
الغابات في أمريكا الجنوبية .. الطفل الشرس المتوحش الذي  
يمزق الصيادين .. أحياناً يرسمونه ، وهو يركب خنزيراً برياً ..  
مشكلة هؤلاء القوم في ( ناشونال جيوغرافيكس ) هي أنهم كانوا  
يتكلمون عن شيطان غابات ولم يحددوا صفات أكثر دقة ..

قلت لها وأنا أراجع وضوء الكشاف لا يفارق هذا الكائن  
المريع :

« لا أفهم .. أثار أقدامه توضح أنه جاء من هنا ليتجه نحو  
المعسكر ويهاجم رفاقنا .. كيف وجدناه هنا مع أننا مشينا عكس  
أثار الأقدام ؟ »

« تذكرت السبب الآن .. لأن قدميه .. قدميه . »



فى هذه اللحظة وقف الصبى للمرة الأولى ففهمت السر إن  
قدميه متجهتان للخلف !

هذه هى الطريقة التى يخدع بها أعداءه يحسبون أنهم قروا  
منه وهم يقتربون يحسبون أنهم يدنون منه وهم فى الحقيقة  
يبتعدون ..

الكوروبيرا شيطان أمريكا الجنوبية ذو القدمين المعكوستين

كان هذا قبل أن يثب فى الهواء برشاقة لا توصف

وفى اللحظة التالية كان يجثم فوق (مارجريت) يمزق حلقها  
بأسنانه الحادة ..

جريت .. جريت ..

لكنى كنت أعرف أنه لن يستغرق وقتاً ..

لقد قتل كل رجال الحملة فى خمس دقائق ، فكيف يستغرق من  
الوقت مع واحد مثلى ؟

\*\*\*



الرابعة صباحاً ..

لماذا أنا هنا ؟ لماذا أقف فى هذا البرد ؟

هذه كنيسة فى بلد أوروبى ما ..

أنا أقف بالخارج ليس هناك جليد ولا مطر ، لكن الجو بارد ..

لا غرلة فى هذا فى الرابعة صباحاً ..

أرتجف وأمس يدي فى جيب المعطف .. أجراس الكنيسة تدق .

هل هو عيد ما .. لا أعتقد .. الثلج هو الذى يميز الكريسماس  
فى الخارج ربما كان هذا هو عيد القيامة ؟

يقترب منى ذلك الرجل العجوز الذى يلبس ثياباً حال لونها ..  
لحية نصف نامية .. قبة .. معطفاً ثقيلاً زجاجة يبرز طرفها  
من جيبه ينهث مما يدل على أن مستوى الحموضة فى دمه  
عال حقاً ..

يقول :

- « الطقس بارد يا زميل .. »

أنظر له في دهشة .. زميل ؟

هنا يمر أحد المصلين خارجاً من باب الكنيسة .. قبل أن أفهم ما يحدث وجدت قطعة عملة في يد الرجل وفي يدي !

قال الرجل في مرح :

- « يصيرون كرماء جداً لليلة .. ليلة صيام القديس (مارك) .. أنت غريب .. أليس كذلك ؟ »

هزئت رأسي شاعراً بأن قطعة النقود تحرق كفى . إذن أنا أبدو متسولاً ..

قال الرجل وهو يخرج الزجاجة من جيبه :

- « هل لك في جرعة ؟ لا .. ليكن .. سأشرب لي ولك .. في هذه الليلة يظل الجميع ساهرين ، لكنهم يراقبون الكنيسة .. أنت تعرف هذا .. الرابع والعشرون من إبريل .. »

ثم ضحك طويلاً وقال :

- « لكن لك أن تطمنن .. أنا لست منهم .. »

ثم قرب فمه ذا الرائحة الكريهة من أذني وقال :

- « بني وبنيك .. يعتقد الكثيرون أن هذا يحدث في منتصف الليل .. هذه خرافة . الموعد المحدد هو الرابعة صباحاً . »

إذن هو الآن .. لكن ما هو بالضبط ؟

قال لي السكير العجوز :

- « اسمي ( ميلر ) .. أنا في السبعين اليوم .. هذه سن كانت تستحق الراحة ، لكن لا راحة .. والسبب هو هذا السم .. »

ولوح بالزجاجة في وجهي وقال :

- « ماتت زوجتي وتخلي عني أولادي .. اليوم أنا لا أملك قرشاً . كل ما أفعله هو أن أتسول .. من الغريب أن يتسول المرء في الرابعة صباحاً لكن ليلة القديس (مارك) تختلف .. »

وأشار إلى البلدة التي لاحظتها الآن لأول مرة ..

بلدة أوروبية صغيرة يمكن أن تكون جميلة .. هنا يمكن أن يكتب الأخوان ( جريم ) عشرات من قصصهما .. هنا لا تمشي الفلاحات إلا بحذاء خشبي ، وكل بيت له سقف خشبي مسائل ومدخنة ..

لكن البلدة ما زالت في الظلام .. أنوار نوافذها مضاعة .. ثمة شيء يوحي بأنها تنتظر ..

قال لي المتسول العجوز :

- « لا يغرنك هذا الصمت .. هناك من ينتظر خلف نافذته في قلق .. هناك من سيأتي ليلقي نظرة .. »



بالفعل بعد قليل ظهر عدد من الأهالي ..

كانوا متأنقين كأنهم ذاهبون لقداس الأحد . لكنى لاحظت أنه لا أطفال . فقط رجال ونساء . نظرات قلقة في العيون .

يقفون قرب الكنيسة حيث وقفت أنا ويتبادلون النظرات البعض يمسك بأيدي من يقف جواره ..

ماذا يحدث هنا ؟

ثمة شيء مخيف لكنى لا أعرف ما هو ..

\*\*\*

فجأة تعالت الصراخات :

- « لقد جاءوا ! »

ورأيت الكل يتراجع للخلف .. فعدت مثلهم غير فاهم .

رأيت موكباً آخر من رجال ونساء وأطفال يمشى في تودة متجهاً إلى الخلاء أمام الكنيسة ..

من هؤلاء ؟ من أين جاءوا ؟؟

كانوا يمشون ببطء وثبات وجوه شاحبة صامتة . لا ينظرون

لنـ ..

وسمعت الناس يتصيحون :

- « هذا ( فرانتس ) ! .. هذه ( هيلجا ) ! يا للعجب ! ( هيلجا ) قبل زوجها ؟؟؟ »

فجأة رأيت المتسول ( ميلر ) الذي أقف جواره .. رأيته يمشى وسط هؤلاء القوم .. نظرت جوارى لأرى كيف ومتى استطاع أن ينضم لهؤلاء بهذه المبرعة ..

لكنى وجدته ما زال واقفاً جوارى !

إن له أخاً توأمًا كما هو واضح . يبدو مثله ويمشى مثله وسط هؤلاء القوم الذين يشقون طريقهم نحو الخلاء في هذا الموكب المرجف ..

نظرت لـ ( ميلر ) فوجدت فيه مفتوحاً في ذهول .. سقط فكه وتقصد جبينه بالعرق أخرج منديلًا عملاقاً وراح يجفف جبينه .

قال وهو يرتجف :

- « ولكن .. ليكن . إن سبعين عاماً ليست بالشيء البسيط .. »

سألته في حيرة :

- « عم تتكلم بالضبط ؟ »

نظر لي بعينين زائغتين .. ثم قال وهو يجفف عرقه :

« أنت لا تعرف شيئاً على الإطلاق .. فى ليلة الرابع والعشرين من إبريل نقف هنا خارج هذه الكنيسة وننتظر .. هنا نرى موكب الـ Doppelgangers .. للقرناء .. هؤلاء الذين سيموتون فى العام القادم .. هؤلاء ليسوا بشراً حقيقيين .. إنهم أطياف .. ما تراه أنت هناك هو قرينى .. معنى هذا أن نهايتى قد دنت .. دنت .. دنت .. »

وأخرج زجاجة الخمر وراح يعب منها كالحمار الظمان .

هنا تذكرت القصة كلها .. هناك نوعان من هذه الأشباح فى الثقافة الغربية .. شبح هو النذير أو Wrath ومعناه أنك تقابل شبحاً يجمد الدم فى عروقك ، ثم تكتشف أن صاحبه حى وفى مكان آخر بعيد .. على الأرجح يعنى هذا أن صاحبه سيموت قريباً .. النوع الثانى هو الـ Doppelganger أو القرين .. وهى لفظة ألمانية معناها ( السائر المزدوج ) .. معنى أن ترى القرين الخاص بك هو أنك - لا سمح الله - فى آخر أيامك ..

من الطرق المعروفة لرؤية موكب القرناء هذا أن تقف خارج كنيسة فى عيد القديس ( مارك ) لتراقب الأطياف التى تظهر فى منتصف الليل ..

حسن . يبدو أن الرابعة صباحاً رقم أدق ..

الآن عرفت ما سيحدث وما سألقاه ..

إنها الرابعة صباحاً .. وأنا على موعد مع خطر أو مسخ يبدأ اسمه بحرف D ..

إذن نحن نتكلم عن الـ Doppelganger الخاص بى ..

فقط يجب أن أبحث عنه بعناية وسط هذا الزحام ..

هو ذا .. هل تراه ؟

هناك وسط الصف المتحرك يوجد ( رفعت إسماعيل ) آخر صاحب .. يمشى فى صمت ..

ينظر لى حيث مشى وسط الآخرين ..

خيل لى للحظة أنه ابتسم ابتسامة خافتة ، ثم واصل المشى مع من كانوا معه ..

\*\*\*





الخامسة صباحاً .

ضوء الفجر الحزين الجميل يتسلل إلى الأفق .. كما يتسرب الدم ليصبغ الماء عندما يجرح أحدهم أثناء السباحة .. لن أندھش لو رأيت سمكة قرش عملاقة تسبح في الأفق ..

أرى تلك الأجسام العملاقة على الساحل كأنها وحوش غافية . عملاقة تنتظر لحظة الإيقاظ لتفطر بي ..

جزيرة عيد الفصح Easter island . هكذا سماها المستكشف الهولندي الذي رسا على ساحلها عام 1722 في عيد الفصح

جزيرة مساحتها نحو مائة كيلومتر مربع في جنوب المحيط الهادى .. وهي تخص حكومة ( شيلي ) ..

لكن هذه الجزيرة تشتهر بتلك التماثيل العملاقة التي تمثل وجوها كنيية تنتثر على الساحل .. لا أحد يعرف من صنعها ولا متى . من المؤكد أن سكان الجزر الأصليين كانوا من هنود أمريكا الجنوبية . ثم جاء البولينيزيون بقواربهم وأبادوا هؤلاء السكان وعاشوا على الجزيرة .. فقط ليجدوا من ينبحهم بدورهم ، بحيث لم يعد منهم سوى مائتى بولينيزي يسكنون على الساحل الغربى للجزيرة ..

روايات مصرية للجيب .

57

حالياً هناك مائة تمثال يتراوح ارتفاعها بين ثلاثة أمتار و 12 متراً .. كل مجموعة تماثيل ترتكز على منصة تدعى ( أھو ahu ) .. وبين هذه المنصات كهوف ..

جزيرة عيد الفصح Easter island ..

ولنا هناك في ضوء الفجر ..

الساعة الخامسة ومعنى هذا أن تلك التماثيل هي كابوسى الحالى ..

\*\*\*

لا أعرف أين يوجد الفندق ..

لا أعرف أى شيء عن الاضيق سوى أنني امشى على الرمال الساعة ومن بعيد أسمع هدير أمواج البحر .

أتقدم نحو أكبر هذه التماثيل

تصور تمثالا يدنو ارتفاعه من أربعة طوابق ! مشهد يثير الارجفة في القنوب . هذه لعبة قديمة جدا لدى الكهنة في كل عصر عندما يعورك المنطق فعنك بالضحمة '

كانت واقفة هناك بين تماثيل ..

سأستمر ، بحمينة تنى يذو كل شيء فب عنى انها من اصل اسبتي .. تبدو كالخاتم في ضوء الفجر ..

تقول لى بالإنجليزية :

« أنت دقيق فى مواعيدك يا ( رفعت ) .. لقد جئت فى الخامسة صباحًا بالضبط .. »

هزرت رأسى بطريقة من يقول ( ألم أكل لك ؟ ) . طبعًا لم أكل حرفًا عن كونى لا أعرف من هى ولا كيف جئت هنا ..

قالت لى وهى تنظر للسماء :

« الآن .. قلت لك إن هذا يحدث فى الخامسة صباح كل يوم .. »

رفعت رأسى للسماء لأرى اللون الأحمر قد ترادى فى الأفق الشرقى .. ماذا تتوقع أن تراه ؟

فجأة شهقت من الدهشة .. كانت تلك الأضواء تتلاعب بين الغيوم .. لا شك فى هذا .. أقراص مضيئة تروح وتجيء بلا لقطاع وتقابل ثم تتباعد ..

ثم سقط شعاع على التمثال الذى نقف جواره فتلقى بنون لردى غامض ..

قالت وهى تشهق انفعالاً :

« هل ترى هذا ؟ هل فهمت .. إنهم جاءوا هنا منذ أعوام سحيقة .. فى فجر التاريخ .. البولينيزيون حسبوهم آلهة ونحتوا

هذه الوجوه البركاتية العملاقة على سبيل استرضائهم .. هذه هى وجوههم .. هكذا يبدون ! »

« من الذين جاعوا ؟ »

أشارت إلى السماء وقالت :

« لماذا لا تسألهم بنفسك ؟ »

ثم مدت يدها الدقيقة تمسك بىدى وراحت تتسلق الصخور .. نحو واحد من تلك الكهوف بين التماثيل ..

قالت لى وهى تلهث :

« فى هذه الكهوف سوف ترى أول نموذج للكتابة بالرسم .. هنا كان البولينيزيون يعيشون .. »

ثم أضاعت كشافًا وطلبت منى أن أتقدمها إلى الداخل ..

كان الكهف مظلمًا ..

يبدو أنه كن مطروقًا .. بالطبع لم يترك المسياح حجرًا فوق حجر هنا ..

لكنها اقتادتى إلى ممر جانبى وسلطت ضوء الكشاف على الجدران ..

شهقت انبهارًا للمرة الثانية ..



كانت هناك رسوم دقيقة غاية في الروعة . تظهر تلك  
الأضواء الغريبة التي رأيناها في السماء .. ثم كانت هناك رسوم  
تظهر كائنات عجيبة لها رءوس كرءوس تلك التماثيل تمشي بين  
الأهالي وهم يجثون راكعين .. هناك رسوم للتماثيل ذاتها . ثم  
هناك رسم لكاهنة تقف رافعة يديها أمام تلك الأضواء . إنها  
تقدم قربانا بشرياً .. ترفع سكيناً نحو السماء ..

قلت لها في انبهار :

- « يبدو أن هذه صارت ديانة تُمارس في فترة من الفترات . »

قالت وهي تطفئ الكشاف :

- « ما زالت .. إن البولنديين الباقين هنا ما زالوا يؤمنون بها . »

ثم هزت شعرها الجميل وقالت :

- « إن عملي كدارسة للثقافات الشعبية جعلني أختلط بهم بشكل  
متكرر وأعرف يقيناً أنهم يؤمنون بهذه الأشياء . لكنهم يخفون  
معتقداتهم عن الحكومة .. »

في وسط الكهف كن هناك سرير حجري .. وهو ملوث بالدم ..  
دم جاف لكنه ليس قديماً لهذه الدرجة ..

قلت لها وأنا أتفحص السرير :

- « لا يبدو قديماً لهذا الحد .. »

- « قلت لك إن العقيدة ما زالت تُمارس .. »

نظرت لساعتي .. لقد حان وقت الرحيل إذن ..

لكنني على باب الكهف رأيت ستة من هؤلاء البولنديين .  
كثتوا بلبس ثيابا عصرية لكن ملامحهم ، وكل شيء فيهم يدل  
على أنهم بدقيون تماماً ..

كثتوا يحملون سيوفاً غريبة الشكل لها نصل مربع .. وكانت  
عيونهم تلمع في الظلام ..

قالت الفتاة . وهي تصوب الكشاف على رسوم الجدار :

- « من الغريب أنك لم تدقق في الصورتين الأخيرتين . »

عدت أنظر

كانت الصورة تمثل رجلاً تحيلاً أصلع الرأس ينظر للسماء ..  
الرجل التحيل يمسك بيد الكاهنة التي تقوده لكهف .. ثم الرجل  
التحيل ينام كقربان بشري على مائدة التقديمات ..

رفعت عيني نحوها فقالت ضاحكة :

- « هذه ليست رسوماً جديدة .. إنها تعود لثلاثين ألف عام !  
هن تتصور هذا منذ ثلاثين ألف عام رأى هؤلاء القوم تلك  
للحظت التي نمر بها الآن .. »

ثم همست ، وهي تغمض عينيها :

- « نحن نؤمن أنه لابد من دماء بشرية وإلا فلن يعود هؤلاء من السماء .. كل شيء معد لعودتهم لكنهم لا يأتون .. لماذا ؟ لأن الأرض لم تترك بما يكفي ! »

ألقاني البولنديون على المائدة ، وقيدوا يدي وقدمي ..

ومن مكان ما أضربت عدة مشاعل ..

خارج الكهف ما زالت الأضواء تتراقص في السماء ، بينما التماثيل العملاقة تنظر في لا مبالاة إلى البحر .. وأنا ..

أنا طقس مهم من طقوس تلك العبادة المنقرضة ..

لقد حللت اللغز لكن متأخراً جداً ...

F

قالت لي د. ( عزة ) وهي تقف خارج القفص :

- « إنه يتعلم .. أنا واثقة من ذلك .. »

كأنت قد أطلقت عليه اسم ( فيرو ) .. لا أعرف السبب بالضبط ، لكن الاسم بدأ ينطبق عليه بعد قليل .. هذا شأن أي اسم مهما بدا لأننيك شاذاً غير مريح .. لو أنك أطلقت على قطك اسم ( السلحدار ) فلنصير هو ( السلحدار ) فعلاً بعد أيام ، ولن تتصور أن أي اسم آخر كان يناسبه سوى هذا ..

لكن لماذا يضعون الصبي في قفص .. يبدو لي الأمر غير مريح على الإطلاق ..

كأنت د. ( عزة ) خبيرة في علم نفس الطفل ، لذا توقعت أنها تملك حيلة أفضل من وضعه في قفص كأنه وحش كاسر .. لكنها أشارت لي إلى يدها التي امتلأت بالجروح وقالت :

- « هذه هي نتيجة التعامل الرفيق بالحنون معه .. »

ثم بدأت تحكي لي القصة التي كنت أعرفها على كل حال ، وإن كنت للتفاصيل عندي أقل ..

\*\*\*



كان المهندس (عدنان) وزوجته وطفلهما لصغير (حسن) هم الذين جرى البحث عنهم عدة أيام بلا جدوى منذ سبعة أعوام ..

لقد كانت طائرة الشركة تعبر الصحراء عندما انقطع الاتصال . فقط كان آخر ما تمكنوا من تسجيله هو صوت ضجة وصراخ من الطيار ، ثم انقطع كل شيء ..

حلقت الطائرات تمسح الصحراء .. وخرجت عدة قوافل من الجمال للتفتيش في المكان الذي يعتقد ان الطائرة سقطت فيه . فلم يجد أحدهم شيئا .

هكذا تم اعتبار المهندس وأسرته مفقودين وهي مسألة حقيقية إذا تذكرت أن المهندس كان يصحب أسرته ثمرة ذؤابة لتعيش معه في مقر عمله ..

نسى الجميع ما حدث ..

لكن منذ أسابيع كانت سيارة جيب تعبر نقطة من صحراء تغريبة عندما خيل لركابها أن هناك طفلا يركض في الصحراء . كان يحرق على أربع ويثب فوق الكثبان الرملية ببراعة غير مسبقة . تعرب أن مجموعة من الضباع كانت تركض حوله وخفه

هكذا راحت السيارة تطارده ، وترجل الركابون وهرعوا خلف الكثبان ..

صحيح أنهم لم يتمكنوا رشاقته لكنهم تغلبوا على هذا بكثرة عددهم . وسرعان ما تمكنوا من القبض عليه ..

كان عاريا تماما .. عمره يناهز سبعة الأعوام .. وكان قذرا بشكل لا يطاق ..

عندما أمسكوا به راح يخنس ويعض بأنيابه الحادة ، واتضح أنه لا يعرف حرفا واحدا من اللغة .. فقط كان يزأر ويذمجر كالوحوش ..

في مكان ما تذكر أحدهم قصة عن طفل فقد مع أبويه منذ سبعة أعوام ..

وهكذا بدأت القصة تتضح ..

هذا الصغير هو (حسن) بالتأكيد ...

\*\*\*

قالت د. ( عزة ) :

- « الأطفال الآبدون Feral Children هم الأطفال الذين فقدوا في البرية ، وقامت الوحوش بتربيتهم .. طرزان - برغم أنه شخصية خيالية - هو النموذج الأشهر للأطفال الآبدين . بالتالى هم يعجزون عن التفاهم بلغتنا .. »

كنت أعرف شيئاً عن هذا الموضوع .. إن العلم يحكى عن 40 طفلاً من هذا النوع ، فى كل العصور وفى كل موضع من العالم تقريباً .. هناك قصة الولد الذئب التى تعود لعام 1341 .. قصة بيتر هانوفر الذى وجدوه عام 1724 . قصة الصبى الخروف الإيرلندى التى تعود لعام 1672 .. والصبى الدب البولندى ..

هناك قصص تبين أنها أكنوبة ، ومنها قصة (كامالا) و(آمالا) الهنديتين اللتين قيل إنهما نشأتا بين القرود عام 1920 ..

لكن هناك قصة مثيرة عن الصبى الأوغندى (جون سبونيا) الذى تربى مع القرود وقد عرفه العالم فى الثمانينات من القرن العشرين .. كان الجميع يعتقد أنه نصاب ، حتى جعلته خبيرة تخاطب يجلس مع مجموعة من القرود العليا ، ولاحظت الأصوات

التي يصدرها ، وكيف أن مجتمع القرود تأقلم معه على الفور ، وراقبت فى ذهول كيف ظل يتفاهم مع القرود لعدة ساعات . بعدها أعلنت للعالم أن القصة حقيقية ، وأن هذا الصبى قضى مع القرود فترة لا تقل عن خمسة أعوام ..

الآن نحن نقابل أول حالة يعرفها العالم عن صبى نشأ مع للضباع ..

لقد أطلقت عليه ( عزة ) اسم ( فيرو ) لتوفر على نفسها عناء لفظ عبارة Feral Child فى كل مرة .. كانت خبيرة فى نفسية الأطفال ، وقد جهزت له هذه الغرفة فى المستشفى الخاص الذى تعمل به . غرفة هى أقرب شيء إلى عرين الأسود فى حديقة الحيوان وقد وجدت التمويل لدى إحدى الجهات البحثية المهمة بالأمر ..

قالت لى وهى تتأمل من وراء القضبان ، وهو يلتهم قطعة كبيرة من اللحم المسلوق :

- « إنه يعرف قصصاً مثيرة كثيرة . لابد أن حياته مع الضباع جديرة بأن تدون بدقة .. لكنى أخشى أن ينسى كل شيء يوم



يستعيد النطق .. هذا يحدث على فكرة مع معظم هؤلاء الأطفال  
الآبهين .. «

كانت قد طلبت رأيي المزدوج لسببين .. السبب الأول هو فقر  
الدم المستعصى الذي وجدوا أن الصبى يعاني منه . السبب  
الثانى هو خبرتى بالأمور الخوارقية .. طبعا لم أقدم لها الكثير  
فى الموضوع الثانى لأننى لم أر شيئا كهذا من قبل ...  
قلت لها :

- « على كل حال .. عمك هو أن تعيدى لهذا الصبى بشريته ..  
ليس عمك كتابة مذكراته .. فليس كل شىء عن حياة الضباع ..  
فليس حياة طبيعة .. »

قالت لى :

- « تعال إلى مكتبى لتشرب القهوة وتشرح لى وجهة نظرك  
فى القصة .. »

هكذا جلست عندها وسمعت منها وسمعت منى .. وفى ساعة  
متأخرة من الليل انصرفت عازما على أن أنسى القصة برمتها ..

\*\*\*

فى السادسة صباحا اتصلت بى فى بيتى مذعورة ..  
سألتها عما هناك فقالت وهى موشكة على البكاء :  
- « القفص خاو ! لقد هرب ! »

- « كيف ؟ إنه لا يستطيع الطيران حتما .. »

- « إنه صغير الحجم ومرن . أعتقد أنه حشر جسمه بين  
القضبان حتى استطاع الخروج .. »  
- « متى حدث هذا ؟ »

- « غاليا تم فى الليل .. لقد دخلت اليوم لأقدم له الإفطار فلم  
أحده أرجوك أن تلتى يا دكتور .. أنا عاجزة عن التفكير إنه  
شديد انشراسة ويمكن أن يسبب كارثة .. سنه سبع سنوات لكنه  
قوى كالأنفيل .. »

كل هذا مما يثير الغيظ .. ليس عندك رجال من رجال شرطة  
ليس عندك بوابون وعمال . ما دورى أنا فى هذا ؟

لكنها كتبت فى حال هستيرية حقيقية ، لذا ارتديت ثيابى وهرعت  
الى سيارتى استجاب المحرك النعير لى بعد 5686 محاولة  
أكاد أسمعته يتذمر بسبب إيقاظه مبكرا ..

الطقس بارد .. هذا موعد نومي .. لكن ما باليد حيلة .. هناك طفل أهد بجنب القبض عليه ..

كانت في ذهني خطة واضحة ..

هناك مقابر قريبة جداً من المستشفى الخاص .. لو لم يتجه الضبع إلى المقابر فلن يذهب إذن ؟

سوف أبحث عنه هناك ..

أدركت المقود واندفعت عبر شوارع المدينة الخالية ..

من أين يأتي صوت هذا الخوار المكنوم ؟

هذه الرائحة الكريهة ..

لا أفهم ..

ثم شعرت بالأنفاس الحارة على عنقي من الخلف

أنظر لمرأة الرؤية الخلفية فأراه .. أرى ( فيرو ) يقف على المقعد الخلفي وقد دنا من أوردة عنقي .. أسنانه الحادة ونظرته الشيطانية تذكرني بضبع حقيقي .. ما كل هذا الخوار .. ما سر هذه الأنفاس اللاهبة ؟

لقد فر ليلة أمس بينما أنا أشرب القهوة في غرفة د. عزة .. لم تكن هناك إلا سيارة واحدة واقفة أمام المستشفى .. وهذه السيارة تركها صاحبها الأحمق مفتوحة الأبواب كالعادة .. من المعجزات الصغيرة أن أتذكر غلق أبواب السيارة الأربعة عندما أترجل ..

الضبع الآدمي بحث عن مكان دافئ فلم يجد إلا المقعد الخلفي لهذه السيارة .. وجعله الشبع ينام على الفور ..

الآن موعد الإفطار .. لقد استيقظ .. وهو بحاجة إلى لحم نيء .. إلى دم .. هذه هي الطريقة كي يشفى من فقر الدم الحاد الذي أصيب به منذ جاء إلى المدنية ..

خاطبته في المرأة :

- « صبراً يا بني .. اهدأ قليلاً ..! .. أنت لست ضبعاً .. أنت إنسان ! لن تفعل مثل .. »

لكنه كان قد أنشب أنيابه فعلاً ..

\*\*\*



في السابعة صباحاً يصعب أن تتوقع أن تقابل خطراً ..

هذا وقت يذكر بنصرة الأطفال الذاهبين للمدارس . بشطائر الفول . بصوت غناء شادية .. تذكرك بأي شيء إلا أن يكون هو الوقت المناسب للزعب ..

لكني أمشي بين المقابر ..

مقابر قرينتي ( كفر بدر ) كما أعرفها وأحفظ كل حجر فيها ..

هنا قبر أبي وأمي .. أتوقف لأقرأ لهما الفاتحة وسورة ياسين .. ثم أبتعد ..

يقابلني ذلك اللحاد العجوز وهو يحمل طبقاً من الفول يبدو أنه جلبه من القرية ، وتحت إبطه رغيفان .. إنه بهرع ليظفر بإفطاره ويبدو أنه أعد الشاي والمصل ..

- « كيف الحال يا دكتور ؟ تفضل !! »

لا يوجد خطأ مطبعي إنما هو مصر طبعاً على فتح الدال في لفظة ( دكتور ) ..

- « أمس كنت عند قبر أبيك وقرأت له سورة ( تبارك ) .. »

شكرته ونسست بعض العملة في جيبه لأن يديه كانتا مشغولتين .

كدت أبتعد لكنه استوقفني وقال :

- « لا تذهب نحو الحقل القبلي . هناك أشياء غريبة تحدث منذ عدة أيام .. فليحفظنا الله .. »

وقبل أن أفهم كان قد جرى بسابق الريح كي يلحق بطبق الفول ساخناً ..

تركني فريسة للأفكار .. هناك عند هذا الحقل بذات نبت ذلك النباتات الشرير الشيطاني ( موكاسا ) . واتضح أنني من قام ببذره هناك ليجد حاجته من النتروجين !

هل تكررت القصة ؟

هكذا مشيت في ذلك الاتجاه ..

وقعت أنظر إلى القبور .. هنا قبر أسرة ( الششتاوي ) .. وهنا ( أبو الذهب ) . لا يوجد شيء غريب ..

ثم سمعت ذلك الصوت ..

نظرت عبر البوابة الحديدية لحوش مقبرة ( أبو الذهب ) فوجدت من ينام بالداخل ..

ضحكاً كان . يرقد على حافة شاهد القبر في وضع مستحيل فيزيائي وقد غطي وجهه وراح يصدر صوت خوار .



من هذا ؟

متسول أم متسلل .. شيء في مظهره قال لى : إنه لا هذا ولا ذاك ..

جوار المقبرة وجدت ذلك الرفش الذى يستعملونه لتقليب القربة .. لابد أنه يخص اللحاد ونساء ..

هكذا أمسكت بالشئ الثقيل فى غاية . هو سلاح ممتاز يصنع لتهديم الرموس لو أردت .. ولو حركته فى وضع أفقى هو شبيه بالرمح ..

دنوت أكثر من النائم ..

هنا ارتجفت ..

لقد كانت فى يده عظمة .. عظمة آدمية .. وكان يمسك بها كما يمسك الصبى بلعبته وهو غاف ..

نظرت إلى الأرض جواره فوجدت بقايا من كفن ممزق .. ووجدت أشلاء ..

فهمت الآن ما يحدث هنا ..

مغامرتى تبدأ بحرف g .. نحن نتحدث عن غول Ghouls !

\*\*\*

فتح عينيه فالتفت عينانا ..

كان يشبه البشر بالتأكيد لكنه أكثر ضخامة وفضفاضة . له أظفار حادة وشعر منكوش مبعثر طويل .. أظفاره أيضا كفت جذيرة بفول ..

عينان حمراوان لا تكفان عن تأملى ..

إنه ينهض .. أدركت أنه يلبس أسملاً ..

من أين جاءت الغيلان ؟ لا أحد يعرف .. لكن الأساطير تقول إن كل شئ يبدأ بالتهام لحم آدمى من ثم تبدأ هذه التغيرات التشريحية فى الجسم .. بالنسبة لى اعتقد أنها مجرد حالات أكل لحوم بشر . لابد أن هذه العادة الذميمة تغير شكل الشخص تماماً ..

هناك من تغير فى قريتى أو جوارها . وقرر أن يجد ما يسد رمقه فى المقابر ..

كلام اللحاد يدل على أن هذه ليست أول مرة .

لابد أنه أخفى الخبر لأن غضب الأهالى سيكون عنيفا .. سوف يتهمونه بالإهمال ولربما طردوه من هذا المكان ..

أنا الآن أقف أمام الغول لا يفصلنى عنه إلا الباب الحديدى ..

يذكرنى الأمر بمشاهدة الأسود فى حديقة الحيوان ..

لسبب ما لم يستطع أن يفر تحت أستار الظلام هذه الليلة . ليعود لكوخه أو حياته البرية .. غلبه النوم فكان حظه الأسود — أو حظى الأسود — أن ضبطته متلبساً ..

الآن هو يلتصق بالسور وينظر لى ..

قلت له بصوت أردته واثقاً فخرج راجفاً :

- « اهدأ قليلاً .. من أنت ؟ كيف وصل بك الحال لهذا الحد ؟ »

صدر منه الصوت بصعوبة :

- « .. ي .. و .. م .. ي .. ي ! »

كانه طفل يتعلم الكلام ..

- « من هو ( بيومي ) ؟ هل هو أنت ؟ »

- « .. ي .. و .. م .. ي .. ي ! »

لو حاولت الفرار للحق بى .. لابد من المواجهة أو أن أجعله هو من يفر ..

انتظر حتى تسمع البلدة هذه القصة .. تصور الحملة التى ستحمل المشاعل وتفتش كل ركن فى القرية بحثاً عن مكن هذا المسخ ..

هنا فوجئت به يمسك بالحديد .. يتسلق البوابة بسهولة تامة برغم ضخامة حجمه ..

إنه قائم لى !

تراجعت .. وفى اللحظة التالية وجدته أمامى ..

كان أضخم مما تصورت ..

تراجعت للخلف أكثر وقلت له آمراً :

- « ابتعد من هنا .. لا أريد أن أؤذيك .. »

- « .. ي .. و .. م .. ي .. ي ! »

هكذا لم يترك لى الخيار ..

رفعت الرفش وجعلته فى وضع شبيه بالرمح وصوبت به ضربة عاتية بين ضلوع هذا الشيء ..

صرخ صرخة حيوانية .. ثم سقط على ركبتيه والدم يسيل من صدره .. إنه يموت ..

لم ارد أن أترك شيئاً للظروف .. لذا صوبت الرفش ثانية وسندت طعنة أخرى فى بطنه .. فليغفر الله لى هذه القسوة أنا خائف ..

هذه المرة لم يتهاو للمرة الأخيرة كما توقعت ..

رأيتة ينهض فى نشاط .. أين ذهب الدم الذى يسيل من صدره .. أين جرح بطنه ؟

- « .. ي .. و .. م .. ي .. ي ! »

ووثب فوقى فشعرت بأن هناك من فجر جبلاً بالديناميت ليسقط فوقى ..

وجهه على بعد سنتيمترات منى وهو يلحق شفته السفلى  
بلساته فى اشتها .. رائحة أنفاسه هى بالضبط رائحة كل  
الوحوش التى لا تأكل إلا اللحم ..

هنا فقط عرفت أنه ليس مجرد آكل لحوم بشر .. إنه غول  
حقيقى من غيلان الأساطير ..

تحكى الأساطير كيف أن ضربة واحدة بالسيف تقتل الغول .  
لكنك لو تحمست ووجهت الضربة الثانية فإنه يصحو ويتعافى  
من كل جروحه !

أنا ارتكبت هذا الخطأ بسبب الحماس الزائد ..

لكن لا وقت للندم ..

« ي .. ي .. و .. م .. ي .. ي .. ا »



للخرايب لها طابع يونانى لا شك فيه ..

أعرف هذا الطابع الرهيب . لكى - أعترف - لا أشعر بالخوف لأن  
الثامنة صباحا ليست بالوقت الذى يولد الخيالات المرعبة ..

صحيح أن موعد نومى قد جاء . لكن من المستحيل أن تظفر  
بشيء من النوم هنا . لا توجد أرض مستوية فى أى مكان .  
ربما أنهى جولتى وأعود إلى الفندق ..

كنت وحيداً . من الغريب أن أجوب هذا المكان وحدى . لكن  
الأخ ( لوكيريو ) اختار لى هذا ..

تحسست جيئى ..

المسدس معى .. لم أعتد حمله لكن ثقله المظلمن يريحنى .

أسمع صوت البكاء المكتوم آه ه ! .. كل القصص المخيفة  
تبدأ ببكاء مكتوم ..

برغم التوجس مشيت إلى مصدر الصوت كان هناك خلف  
عمود إغريقى مهدم . ثمة عمود سقط بالعرض مما جعله أقرب  
إلى منضدة يجلس عليها ..



في حياتي لم أر متسولاً أسن من هذا ولا أسوأ حالاً...

رأى فبدأ عليه الذعر وتهاى لينهض ، لكنى أشرت له كي يظل حيث هو ..

قلت له بالإنجليزية :

- « أنا ( رفعت إسماعيل ) .. من أنت ؟ »

قال من قم بلا أسنان :

- « أنا ( فينيوس ) .. هل معك شيء يؤكل ؟ »

مددت يدي لأبحث في جيبى فلم أجد شيئاً .. معى بعض العملات ، لذا أخرجت له بعضها .. صاح وهو يذق العمود بعنف وعصبية :

- « لا .. لا .. أريد طعاماً ! »

- « لكنك تستطيع شراء ما تريد بالمال بسهولة ؟ »

- « لا أستطيع الذهاب لشراء شيء .. فقط أريد طعاماً .. يمكنك أن تهتاج لى بعضه .. »

هزرت رأسى ..

أحياناً يكون للمتسولين منطق عجيب أقرب إلى الطفولة .

سألته وأنا أضع العملات في جيبى :

- « ماذا تفعل هنا ؟ »

- « أبحث عن شيء أكله .. »

- « هل تسكن في هذه الجزيرة ؟ »

حك شعرة العلىء بالقلم حتماً وقال :

- « نعم .. ليس لى مكان آخر .. عندما تقضب ذوى النفوذ يكون عليك أن تدفع الثمن . لا أستطيع أن أفسر أكثر .. فقط ما أستطيع قوله هو أن وضعى صعب جداً وأنى أعانى .. أنا بحاجة للحماية . »

ثم مد يده يتحسس جيبى فى وقاحة وهو يردد :

- « لكنى أعرف أن معك ما يؤكل .. بالتأكيد . »

لا أطيق أى اختراق للحماية الفيزيائية حول جسدى .. هذا يعد تبسطاً لا أتحملة .. لذا صحت محتجاً وتراجعت .. فجأة أدركت أنه ليس متسولاً فقط بل هو نشال كذلك .

كان يحمل المسدس فى يده وقد بدا كأنه وجد كنزاً .

صحت فيه وأنا أتقهقر :

- « اسمع يا ولدى .. هذا المسدس محشو .. لا لرى ما يدعوا لأن

تمسكه بيدك .. يقولون عندنا فى العربية ( السلاح يطول ) .. وهذا معناه أن القتل الخطأ ..... »

لكنه صوب المسدس نحوى .. وقال وفمه يرتجف كأنه جن فجاء :

- « اسمع .. سوف آخذ هذا .. أى إننى أستعمل المسدس من أجل الاستيلاء على المسدس ! سوف تباعد فى هدوء كشاب مهذب وتتركنى ألدافع عن نفسى .. »

- « تدافع عن نفسك ضد ماذا ؟ أنت مخبول تمامًا .. »

صوب المسدس نحو رأسى وازدادت ضحكته وحشية وقال :

- « المخبول هو من يتهم واحدًا مسلحًا بأنه مخبول .. »

كنت أعرف أنه لن يطلق الرصاص .. هذه ليست ملامح قاتل .. برغم هذا هى ملامح شخص يتس .. ليلبسون بطنقون للرصاص أكثر من سواهم ..

هكذا فردت ذراعى مطالبًا إياه أن يهدأ ..

ورحت أتراجع بظهري ..

أتراجع وعينى لا تفارق عينيه ..

أخيرًا تواريت عن ناظريه ..

يمكننى الآن أن أفر وأطلب الشرطة .. لكن قوة ما ظلت تبقينى حيث أنا ..

أردت أن أظل قريبًا لأعرف ما يحدث فعلاً .. لماذا سرق مسدسى ؟ لو كان يريد السطو المسلح لكنت أنا أول عماله ..

هكذا رحت أزحف بين الأعمدة المتداعية .. أزحف ..

هنا سمعت أول طلقة ..

ارتجت لها الخرائب وسمعت صرخة غير آدمية .. صرخة مروعة كأنها صرخة غراب عملاق ..

طلقة أخرى ..

ما الذى يقتله ؟ أعتقد أن هناك وحوشًا أو حيوانات ما .. هذه الأصوات ليست بشرية ..

رائحة البارود فى هواء الصباح النقى .. أقترب أكثر وأنا أزحف على بطنى .. أختلس النظر إلى حيث كان العجوز ..

كان الرجل يجلس أمام العمود الذى اتخذه كمنضدة .. لكن العمود امتلأ بقطع اللحم والجبن والخبز والفاكهة .. هذا الرجل كان يخفى الكثير من الطعام ، فما قيمة هذه التمثيلية التى كان يستجدينى بها ؟ ملوك المستولين واحد فى كل مكان وزمان وهو خداعك ..

لكنى رأيت أمامه .. على بعد مترين - شينا غريبًا ..

كان كائنًا أقرب إلى امرأة .. لكنها كانت بجناحي وذيل طائر ..  
وكانت لها مخالب عملاقة .. قلت إنها تبدو كامرأة لكن أية امرأة ؟  
لم أر قط كائنًا بهذه البشاعة وهذا القبح .. وحتى من مكاني  
أدركت أن راحتيها الكريهة تتركز الأنفاس ..

كانت تحلق على ارتفاع متر من الأرض تحاول الدنو منه ، لكنه  
أطلق عليها طلقة رصاص أخرى فصرخت تلك الصرخة المريعة  
وسقطت تتشطح في سمها ، بينما جناحها لا يكفلان عن الاختلاج ..

أطلق العجوز صرخة ابتهاج وانقض على الطعام بفترسه وهو  
يضحك كالمجنون ..

أخيرًا استعدت روعي ورقدت على الأرض أستوعب ما رأيت ..

حرف .. H !

أتذكر الآن الوحش اليوناني الذي كان يحمل هذه الصفات  
الكريهة .. الهاربي Harpy !

الكائنات القادمة من عالم الموتى ( هيدس ) ! .. لقد حكى  
الأساطير اليونانية عن عملية التعذيب التي مارستها ضد الملك  
( فينيوس ) حينما حرمته من الطعام . سواء بخطط الطعام من  
يده ، أو بتلويثه .. حتى أنقذه ( جيمسون ) ومحاربوه من  
( الأرجونوتس ) ..

لقد رأيت الآن هذا المشهد حرقًا فيما عدا أن الهاربي ماتت  
بالرصاصة ..

أسطورة يونانية رهيبة أخرى تحدث في عصرنا .

استدرت لأفقر من هذا المكان المخيف .. تعثرت كثيرًا وسط  
الأحجار والأعمدة .. ثم رأيت للظل فوق رأسي . شمعت الرائحة  
الكريهة قبل أن أرى أي شيء ...

رفعت عيني لأرى ذلك الكائن المجنح القذر يهبط ليقف أمامي ..  
الأنياب والمخالب كلها تتجه نحوي أنا ..

وليس المسدس معي بل مع هذا الأخ الجائع ( فينيوس ) .

تذكرت أن الهاربي كن ثلاث أخوات .. ( أليو ) و ( سيلو )  
و ( أوسيبتي ) ... نسيت أن هناك اثنتين ما زالتا حيتين .

تذكرت كذلك أن مهمتهن الرئيسية لم تكن تجويع الملك ( فينيوس )

لقد جنن من عالم الموتى كي يخطفن هؤلاء الحمقى العنيديين  
الذين يرفضون أن يموتوا !!

بعبارة أخرى : كن يقتلن البشر الذين لا يقبلون فكرة الموت .

\*\*\*





إنها التاسعة صباحاً ..

جلست في صبر أنتظر ذلك المسخ الذي يبدأ اسمه بحرف I  
تري ما هو .. أمسكت ورقة وقلما ورحت أعد الظواهر  
الغامضة أو المسوخ التي أعرفها وتبدأ بهذا الحرف :

Incubus

Ishtar

Isnashi

I Chin

Ikimizi

Illuminati

Ibis

Iblees

Icarus

على كل حال ، معظم هذه الكائنات من قنمة ( القرد - الإنسان )  
إياها .. لكن ضع ألف علامة استفهام تحت Incubus .. الجاثوم .

هل هو المقصود هنا ؟

أم هل هو إبليس ؟ لا أعتقد أن ( إيكاروس ) مسخ حتى لو  
وجدته أمامي الآن ..

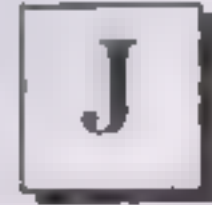
ال-Illuminati لفظة تتعلق بمنظمة ماسونية غامضة في  
بافاريا ، كانت تضم من يفوق ذكاؤهم ذكاء البشر العاديين ..  
ربما كان هذا هو المقصود ..

لقد مرت الساعة تقريباً ولم يحدث شيء ..

أعتقد أن الأخ ( لوكيريو ) لم يحب أيًا من هذه الكوابيس ..  
يبدو أنه غير رائق المزاج أو يتناول إفطاره الآن .

ربما كان على أن أنتظر حتى العاشرة صباحاً لأعرف كنه  
الكابوس الجديد

\*\*\*



ولكن ما هو الخطر الذى يمكن أن يهاجمك فى العشرة صباحا ؟  
لا شيء فى الواقع ..

أنت فى ( إرست إند ) فى لندن .. جئت تبحث عن عنوان ما  
فلم تجده .. لا أحد يوجد فى عنوانه هذه الأيام

أنت منهمك .. لم تتناول الإفطار بعد ولكنك تجد تلك الكفتير  
الصغيرة فتدخل ..

تأتى الساقية الحسنة ذات الجمال البريطانى الذى يفتنك .  
أنت المجنون الوحيد فى العالم الذى يؤمن بأن البريطانىات  
جميلات ، وأن الأمريكيات قبيحات كسحال مسلوخة ..

تطلب منها طبقاً من البيض وقهوة . وتجلس فى ضوء  
الشمس المتسرب من الواجهة الزجاجية تطالع الجريدة

يصل الإفطار الشهى ومعه الخبز المقدد . وتبدأ عصارتك  
المعدية عملية الهضم فعلاً قبل أن يصلها شيء من الطعام

هنا يدخل ذلك العملاق الكفتيريا .. ينظر حوله ثم يتجه  
للمنضدة المجاورة لك .. انه اشقر يبدو أجنبياً .. معه حقيبة  
كبيرة والمعطف على ساعده ..

يصيح منادياً الساقية :

- « باجالوستا !!! باجالوستا ! »

تتظر له فى عدم فهم فأقول لها :

- « يقول ( من فضلك ) . واضح أنه روسى .. »

تكنو منه لكنه يملك من الإنجليزية ما يسمح له بشرح ما يريد .  
كن الكلمة الإنجليزية الوحيدة التى استعصت عليه هى لفظة  
( من فضلك ) ..

تغيب الفتاة ثم تعود له بطبق مليء باللحم . وخبز وبيض ..  
هذا وحش مسعور إذن . وشهيته لا تقل عن حجمه ..

يأكل طعامه بشهية طيبة ، بينما أمضغ الحبز فى رقى .. أشعر  
بأننى من الأسرة المائكة عندما أنظر لهذا الرجل ..

ينتهى من طعامه فينهض ويتجه إلى مكتبى وحقيقته فى يده ..

لا .. لا تجلس .. لا أريد بشراً من حولي !

لكنه يجلس بالفعل معنا عن انعدام لياقة لا يوصف ..

يقول لى بأسوأ إنجليزية سمعتها فى حياتى :

- « ( ميشيل أوستروج ) .. سوفيتى . أنا طبيب »

لم أقدم له نفسى على سبيل الاحتجاج .. هل سيطلب منى دفع الحساب أم ماذا ؟

لكنه لم يفعل . فقط أخرج منديلا عملاقا وراح يجفف عرقه . ثم قال لى :

- « أنا متجه إلى مطار ( هيثرو ) .. لقد حان وقت العودة إلى الوطن .. »

ثم أضاف وقد لاحظ أنى غير مهتم :

- « الحقيقة إن المرء يشعر بالرضا عندما ينجز ما هو مطلوب منه .. إنه ذلك النداء الذى تشعر بأنه أت من جدودك . تشعر بأنهم لن يستريحوا ما لم تقم بالمهمة . هل جربت هذا الشعور من قبل ؟ »

قلت فى برود :

- « لا .. »

- « لو جربت لذة الإجاز لشعرت بخليط من المشاعر الموجبة .. هل تؤمن بتناسخ الأرواح ؟ »

قلت فى برود من جديد :

- « لا .. »

- « كيف لا يؤمن بها إنسان عاقل ؟ »

قلت وأنا أقلب قهوتى :

- « أنا مسلم .. كلا الإسلام والمسيحية لا يقبلان فكرة أن نفس الروح تستخدم عدة مرات .. هذه الفكرة تتناقض مع مسلمت كثيرة »  
قال لى فى توتر :

- « ولماذا إذن أدرك يقيناً أنني كنت هنا منذ زمن سحيق وأنتى فعلت الشيء ذاته بالضبط .. من أين تأتى هذه الروى ؟ »  
- « العلم الحديث لا يتكلم عن تناسخ الأرواح لكنه يقبل فكرة الوجدان الجمعى .. يقبل فكرة déjà vu .. يقبل الهلوسة والهستيريا .. »

هز رأسه فى حيرة .. ثم قال :

- « ما زلت أشعر أنني قابلت ( كوزميسكى ) و ( درويت ) .. ما زلت أرى كل شيء .. هذا غريب فعلاً .. »



- « سوف تتغلب على هذا .. »

مد يده ورشف آخر ما تبقى في قدح القهوة الخاص به  
ونهض محيياً ..

جاءت الساقية بعد خمس دقائق فأشرق وجهها الجميل بالفهم  
وقالت :

- « مجرد مجنون آخر ؟ »

- « نعم .. »

قالت بتلك الكبرياء البريطانية المزعجة :

- « هؤلاء الأجانب مجنونين يوماً . أسفة إن أنيتك بهذه الكلمات  
لكنها الحقيقة .. أنت الاستثناء الذى يؤكد القاعدة »

اصطدمت قدمها بشيء فالتحنت تعيده جانباً وقالت :

- « لا تنس حقيبتك .. »

حقيبتى ؟؟ أنا لا أحمل حقيبة . هى حقيبة ذلك المجنون ..  
وهو الآن فى طريقه لمطار ( هيثرو ) فلن ألحق به . لكن يمكننى  
أن أسلمها للشرطة على كل حال ..

( أوستروج ) .. هذا الاسم يبدو مألوفاً ...

لو أضفنا له اسم ( كوزمينسكى ) لأقربنا جداً ..

وهنا ارتجفت .. مددت يدي إلى الحقيبة وفتحتها فى حذر ..  
وهنا شعرت بأن كل ما أكلته فى الإفطار يحتشد فى فمى .. لم  
يكن ما تحويه الحقيبة أوراقاً .. لم تكن تحوى مخدرات .. لبيتها  
كانت كذلك !

\*\*\*

فى تلك الأشهر من أغسطس حتى نوفمبر عام 1888 شهدت  
هذه المنطقة بالذات - ( إيست إند ) - سلسلة جرائم قتل شنيعة  
للفتيات .. وهذه الجرائم أطاحت برءوس كثيرة من شرطة لندن  
بتهمة القتل ..

لغز من أشهر ألغاز علم الجريمة .. اللغز الذى اشتهر باسم  
( جاك السفاح ) ..

الساعة الآن العاشرة صباحاً .. موعدى مع حرفل . وهذا  
يعنى أن نظريتى صحيحة ..

لقد كان هذا السفاح يذبح ضحاياه ثم يقوم بتثريحهن بطريقة تدل على شخص ذى علم واضح بالتثريح .. لهذا فكر الجميع فى طبيب يفعل ذلك ..

اتهموا روسيا يدعى ( ميشيل أوستروج ) وبولنديا يدعى ( كوزمينسكى ) ومن يدعى ( درويت ) .. ثم ظهرت نظرية تتهم الجراح الملكى سير ( ويليام جال ) ذاته بهذه الجريمة .. والسبب نوع من الطفوس الملسونية ..

حتى اليوم يبقى اللغز لغزا ..

لكن هذا الأخ جاء وقال كلاما كثيرا عن التناسخ والحاجة الى أن يصير مثل أجداده . وما الذى امتلأت به حقيقته ؟ هل قضى ليلته يمارس ذات النشاط الذى كان جده يمارسه

هل يعنى هذا أننى تناولت إفطارى مع ( جاك السفاح ) ؟

كنت أفكر فى هذا كله عندما سمعت صرخة ..

رفعت رأسى لأجد الساقية الحسناء تعوى وهى تنظر إلى الحقيية الموضوعة على الأرض جوارى ..

لقد بدأت بقعة كبيرة تتكون على الأرض .. بقعة دم تكبر وتكبر ..

رفعت رأسى لأتكلم ..

لكنى وجدت الناس تراحموا خارج الباب ..

ورأيت عند المدخل رجل شرطة بريطانيًا يلوح بهراوته . ويصيح فى حزم ممزوج بالرعب :

« لا تتحرك ! »

طبعا لن أتحرك ..

من قاتل ابنى قاتل على ذلك ؟

\*\*\*

## K

## الحادية عشرة صباحاً ..

هناك أكثر من طريقة لكتابة كلمة (قبالة) ربما تكتبها هكذا Kabbalah أو هكذا Qabbalah .. أو تبدأ بحرف C لكننا نتكلم عن الشيء ذاته ..

معنى الكلمة هو (من الفم إلى الأذن) واللفظة تحمل معنى (الاستقبال) عامة .. إنها تلك الطقوس السحرية ذات الطابع اليهودي ، قيل عند اليهود إن الله همس بها لموسى عليه السلام فعلمها لهارون أخيه. يعتقد اليهود أن القبالة تحوى سر الحياة ذاتها . فى أسطورة أخرى قيل إن القبالة علم نقله هاروت وماروت لأهل بابل. محظور على أى يهودى أن يدرس القبالة قبل بلوغ الثلاثين وهى أساس التصوف الدينى عند اليهود .

تقوم هذه الفلسفة على أن الله أرسل فى الفراغ نفحة من نفحاته النوراتية ، بلغت 10 نفحات ، وسميت هذه النفحات بالسفروت Sephirot. هناك عدة كتب للقبالة منها (سفر يتزيراه) أو (كتاب الخلق) الذى كتب أثناء الشتات البابلى . والثانى يدعى (زوهار)

- كتاب النوراتية - وكتب فى أسبانيا بوساطة الفيلسوف موسى بن نيون عام 1219 . وقد انتشر هذا الكتاب فى أوروبا. أنه كتب رياضى تماماً ملئ بالأرقام ، وعامة نجد أن القبالة تتعامل مع ثلاثة نظم من الأرقام تدعى (جيماتريا) و(نوتاريكون) و(نيموراه) ..

تقوم فلسفة القبالة على شجرة أصلها فى السماء وفروعها فى الأرض (أى أنها مقلوبة) وتتكون من عشر طبقات يتاح الصفر بينها للروح بعد الموت.

إن القبالة لم تكن فقط كتب للسحر . إلا أن السحر تسلل إليها . واعتقد هؤلاء أسحرة أن السفر عبر طبقات القبالة يمكن أن يتم والتى حتى هذا يمكن للمرء التنقل بين الطبقات واكتساب خواصها والتصرف بها كما يشاء هكذا صارت القبالة هى العمود الفقرى لأية معرست سحرية . وصارت للساحر ثياب خاصة وممارسات خاصة تتناسب مع الطبقة التى يريد المرور بها .

\*\*\*

تراحم فى (نيويورك) بثياهم السود الغريبة وقبعاتهم وزنار اشعر المضفر على الكتفين .. إتهم يهود (الحسيديم) الذين يقيمون فى حي مخصص لهم هناك .. حياتهم مغلقة وعاداتهم مبهمة لا تعرف عنهم الكثير . لكنهم أشد اليهود تعصباً ..



من الغريب أن هؤلاء بالذات لا يقبلون فكرة إسرائيل . ويعتبرونها  
محاولة صريحة للديانة اليهودية ، لأنها تقضى على فكرة التثنيات .  
يمكنك أن تعرف المزيد عن هذا من كتب د. ( عبد الوهاب المسيري )  
خير اليهودية الأول في العالم العربي ، وهو تخصص مثير للإعجاب  
لأن السبيل لسحق عدوك يبدأ من معرفته بدقة .

لكن هذا ليس موضوعنا بالطبع ..

كنت بطبعي اتحاشى التعامل مع هؤلاء . وهي مهمة سهلة  
لأنهم مجتمع مغلق بالمعنى الحرفي للكلمة .

على أنني كنت بالطبع أتعامل مع النصاب اليهودي مريض  
البروستاتا ( سام كولبي ) ، وهو لا ينتمى لليهودية إلا بالاسم

أذكر ذلك اليوم الذي جاءني فيه ( كوني ) ملهوا في الفندق  
الذي أقيم فيه ..

ناولني مجموعة من الأوراق في كيس بلاستيكي وطلب مني  
أن أحتفظ بها .

كنت قد سمعت تلك الكتب السرية التي يتعامل معها ، لذا كنت له  
إنني غير راغب في ذلك . لكنه قال إن حياته تعتمد على  
احتفاظي بها ..

- « رفعت .. أنا في مازق .. أرجوك . لنقل إنني اقتربت جدًا  
من شيء لا ينبغي الاقتراب منه .. »

ثم همس وهو يضع الكيس تحت حشية فراشي :

- « لا تحاول قراءة المکتوب .. أرجوك .. »

ثم اتصرف ..

طبعا كانت هذه دعوة واضحة لقراءة الموجود في الأوراق ..

هكذا انتظرت حتى توارى ، وأغقت الغرفة بإحكام ثم مدت  
يدي أعبث في أوراق الكيس ..

وجدت على الغلاف عبارة بالعبرية .. نكرتني بحو (نيكرونوميكون)  
( لينوخ ) الكليوسي .. لابد أن ( نغان غزة ) له دور في الموضوع ..

تحت العبارة كتبت كلمة ( تتراجرامتون ) .. Tetragrammaton  
ما معناها ؟ شيء رباعي طبعا لكن ما هو ؟

الفضول يخنقني لمعرفة معنى هذا الشيء ..

هكذا أغقت غرفتي بعناية وغادرت الفندق ..

إن المكتبة العامة تقع على بعد مائتي متر من الفندق ..

أمينة المكتبة تدعى ( سارة ) وهي فتاة رقيقة جميلة ومتعاونة  
بشدة .. لقد كنت هناك عدة مرات من قبل .. لو طلبت منها كتاب  
( يفسكفمعي ) لوجدته لك أو أخبرتك بطريقة الحصول عليه .

حييتها فقالت لي إن اليوم جميل ..

- « ليس أجمل من ضحكك يا (سارة) الحسناء .. هناك سؤال أرجو لو ساعدتني في حله .. »

ثم أخرجت من جيبي ورقة وتلوت ما فيها بصوت عل :

- « تتراجراماتون .. هل تعرفين معناها ؟ »

- « ما هي المناسبة ؟ »

قلت في حذر :

- « لنقل إن لدى كتابنا يحمل هذا العنوان .. »

فكرت قليلاً ثم قالت :

- « يجب أن تبحث في كتب القبالة لو عدت بعد الظهر لوجدت عندي بعض الكتب التي تناسبك .. هناك كتاب (حديقة الرمان) لـ (موسى كوردوفيرو) .. »

- « هذا اسم ذو رنين أسباني واضح .. »

- « كل ما نعرف عن القبالة جاء من أسبانيا لقد تشكل هذا العلم في أسبانيات عندما بد رجال محاكم التفتيش بضطهون اليهود .. »

هذه نقطة يجب أن يذكرها اليهود كتوا من السادة عندما حكم المسلمون أسبانيا .. ثم رحل المسلمون فعاتوا أشنع أنواع

الاضطهاد على أيدي محاكم التفتيش .. هذه حقيقة تاريخية وليست مجرد حملات قبلية ..

هكذا تركت (سارة) شاكرًا لها لطفها ومعرفتها الموسوعية ..

تحتيت إلى سويز ماركت فلبنت بعض ما أحتاج إليه .. مشيت في السوق بعض الوقت ، ثم عدت إلى الفندق .. دخلت غرفتي وبدأت في نزع ثيابي ..

لا اعرف كيف ولا متى تلقيت تلك الضربة على مؤخرة رأسي .. فجأة ساد الظلام العالم ..

\*\*\*

كنت هناك على الأرض المبتلة في قبو ما ..

مشاعل وشموع ..

حولي يقف مجموعة من هؤلاء (الحسيديم) بسحتاتهم الكريهة الكنيية وثيابهم السود ..

قال أحدهم :

- « لقد ألقى الجنتيل ! »

الجنيتل هو كل من يمت لشعوب الأرض غير اليهودية .. ورأيت  
أحد هؤلاء ينحني على ركبتيه ليصير في مستوى رأسى .. ثم وضع  
يده تحت ذقتى وهمس :

- « أنت لرتكبت الكفر الأعظم ! »

- « أى كفر ؟ »

- « نطق الاسم السرى .. الـ ( تتراجراماتون ) .. »

- « عم تتكلم بالضبط ؟ »

- « إن ذكر اسم الرب السرى يقع تحت طائلة الموت ، ونحن  
نؤمن أن من يعرف هذا الاسم يستطيع السيطرة على شياطين  
الكون وعلى العالم السفلى .. لهذا نستعمل أسماء ( إلهيم )  
( جيهوفاه ) كى لا ننطق الاسم الأصلى .. أنت تملك هذه  
الأوراق وقد حصلت عليها من كافر ما .. كافر له علاقة بأسرار  
القبالة .. »

ماذا يدور هنا ؟

هنا رفعت رأسى فرأيت ساقى ( سارة ) .. أمينة المكتبة ..

صديقتى ..

قالت وهى تبتمم فى وحشية :

- « تنسى أن اسمى ( سارة مازورسكى ) .. لو لم يكن هذا  
الاسم يهوديًا فماذا عصاه أن يكون ؟ »

قال الرجل الذى يركع جوارى :

- « سارة أخت مخصصة . صحيح أنها ليست من ( الحسيم )  
لكنها يهودية . وبالتأكيد لن تترك كتب مثلك يلهو بالاسم  
المقدس .. »

ومد يده بخرج شيئاً ما ..

- « لقد حكم عليك بالموت .. »

كان هذا الشيء سكيناً ضخماً يلمع فى ضوء الشموع ..

أن ساموت لأهم يعتقدون أننى أعرف الـ ( تتراجراماتون ) ..

هل تعرف ما هو من فضلك ؟

\*\*\*





جارتى ( ليلي ) وزوجها ( عبد العظيم ) يسكنان فى الشقة التى  
تعلو شقتى .. لقد جاءا منذ وقت قريب إلى البنية .. وبما أننى لمقت  
البشر كما تعرفون عنى فأتى لم أهتم بمعرفة أى شيء عنهما .

فقط هى بارعة الحسن . ذلك الطراز من الجمال الذى يزهرق  
لفلسك .. ومع لجمال تجد مسحة لاشك فيها من القسوة والصلابة  
إنها نمط الفنانة ( ليلي فوزى ) عندما كانت تلعب أدوار الشر فى  
الأفلام المصرية القديمة .. فاتنة .. قاسية .. باردة .. ساحرة  
زوجها كان رجلاً مسالماً وإن كان مكتنز العضلات .. ويبدو  
أنهما لم يتجبا قط ..

كنت أقابلهما على الدرج أو فى مدخل البناية فأهز رأسى  
مستمتعاً بما يعرفه الغربيون بـ ( معرفة هز الرأس ) .. لا عدائى  
بعدها .. كل شيء ينتهى بهزة الرأس هذه ..

فى عدة مرات جاءنى الزوج يبنى تعرفى أكثر . فكنت بـ  
بهود ومسحة غباء .. بعدها كنت لا أفتح الباب إذا دققه لاسـ  
أراه فى العين السحرية ..

مرت عدة أشهر ثم حدث موقف غريب ..

لقد جاءت قوات أمن وضبط شاب وسيم ، وقاموا بالتفتيش  
فى شقة هذين ثم اصطحبوهما إلى المخفر مع مجموعة كبيرة  
من الكتب والأوراق ..

سألت الأستاذ ( زكريا ) جارى فى الشقة السفلى ، وكنت  
أعرف أنه فضولى جداً لا يفوت أية تفاصيل .. بالتأكيد عرف كل  
شيء عن قصة التفتيش هذه ..

قال لى :

- « يقولون إنهما جاسوسان إسرائيليان ! »

- « يا سلام ! .. بهذه البساطة ؟ »

نظر حوله كى يتأكد من أن أحداً لا يسمعه وهمس :

- « بس من ! أنا من أبلغ الشرطة بهذا ! السبب هو أننى  
فحصت صندوق القمامة الخاص بهما . وجدت أوراقاً كثيرة  
ممزقة عليها كتابة عبرية .. »

سئمت هذا اللغواء .. هل كل من يتعامل مع اللغة العبرية جاسوس ؟  
فى إسرائيل خبراء فى اللغة العربية والفقهاء الإسلامى والشعر الجاهلى ،  
ولهذا سحقونا فى حرب 1967 لأنهم عرفوا عدوهم جيداً ..

قلت للرجل :

« هناك من يدرسون اللغة العبرية . فهل هم جميعاً جواسيس ؟ »

« الرجل لا يدرس أية لغة .. إنه رجل أعمال .. »

على كل حال حدث ما توقعته .. عاد الزوجان بعد ما تبين رجال الشرطة أنه لا غبار عليهما .. عادا لكنهما فقدا أية شهية لتكوين صداقات مع سكان هذه البناية .. لا ألومهما طبعاً ..

\*\*\*

بدأ مسلسل موت أطفال البناية بعد هذا بأسبوع ..

كانت الحالة الأولى لطفل جميل في الخامسة من عمره وجدوه ميتاً في فراشه ، ولم يعرف الطبيب الشرعى سبباً لذلك . لماذا مات وهو يضحك ؟ الحق أن موته أحدث حالة من الشؤم والحزن عمت البناية كلها ..

الحالة الثانية وقعت بعد أسبوع لطفلة في الثانية من عمرها تركتها أمها في غرفتها نائمة . وخرجت لبعض شاتها ثم عادت لتجدها ميتة .. وعلى شفيتها ابتسامة ..

يعرف الأطباء في العالم الغربى ما يدعى بملازمة (موت الأطفال المفاجئ) أو SID وهو لغز طبي غير مفهوم . يقال أحياناً أن سببه فيروس تنفسى أو قهقري حرارى . أو وضع الطفل على بطنه وتركه حيث تكون عضلات تنفسه فى أسوأ وضع ممكن .. لكنه مرض سائد فى الغرب وغير معروف فى مصر على قدر علمى ..

لهذا تشاءم الجميع من هذه البناية .. شعر الجميع بالشؤم يخيم عليها .

على أن شكوى بدأت فى ذلك اليوم الذى كنت أصعد فيه الدرج ورفعت رأسى لأجد أن امرأة فى طبق بطونى .. أغضيت ببصرى حياء لكن عيني رأت لمحة سريعة من ساقها هى التى كانت تلبس ثياباً طويلة طيلة الوقت .. هذه اللمحة جعلتني أرتجف ..

إنها امرأة رقيقة بارعة الحسن ، فهل لديك سبب واضح يجعل ساقها مكشوتين بالشعر كأنهما ساقا غوريلا ؟

هنا فقط بدأت أقلق ..

طلبت من الأستاذ زكريا أن يجد لى بعض الأوراق العبرية التى وجدها فى قمامة هذين .. فتش طويلاً حتى وجد ورقتين فى ألغن حالة ممكنة .. عندما تخرج الورقة من القمامة لا تتوقع أن تكون فى حالة أفضل ..

حملت الورقة إلى الألسن كى أجد من يترجمها لى فى قسم الدراسات العبرية ..

هاك عرفت أنها صلوات موجهة إلى ( ليليث ) كى تكفى العالم شرورها !

\*\*\*

لاميا . لاماستو .. ليليث . الأخوات إمبوسى كهن  
الشيء ذاته . فى كل الثقافات السامية سوف تجد ذلك النموذج  
إنها موجودة فى الأساطير البابلية الآشورية العربية .  
العبرية .. الأنثى مصاصة الدماء التى حرمت الأطفال فقررت أن  
تنتقم من أطفال الأخريات . فى اليونانية تجد كلاما عن ( لاميا )  
الرهية التى كانت ملكة ليا عند الآشوريين كانت هناك  
الشيطنات ( لاماستو ) التى تقتل الأطفال الصغار ربما وهم فى  
أرحام أمهاتهم . فيما مضى كانوا يفسرون أكثر حالات موت  
الأطفال والإجهاض بأن ( لاماستو ) تسبل لتفتك بالطفل .

لهذا كانوا يرسمون فى غرفة نوم الطفل دائرة بداخلها آدم  
وحواء .. وكانوا يكتبون على الجدران : اخرجى يا ليليث مع  
كلمات تبعدا عن الطفل مثل ( سينوى ) و ( ستسينوى ) . قيل إن  
الطفل لو ضحك فى نومه فالسبب هو أن ( ليليث ) فى الغرفة ..  
وكان عليك أن تضرب شفتيه بإصبعك لتطردها .

يقال أحيانا إن اسم ( ليليث ) مستوحى من اسم ( لينيتو ) - روح  
الريح - أو ليلاك التى تعنى ( الليل ) فى المخطوطات السومرية  
فى ( أور ) . وكنت هناك مواجهة مهمة بينها وبين ( جلجاميش )  
عندما كانت تخبئ فى شجرة الصفصاف على ضفة نهر الفرات ..  
وقيل إنها تعيش فى الخراب وسط بنات آوى والبوم والشعابين ..  
يعتقد اليهود أن ( ليليث ) هى الأنثى الأولى - قبل حواء - التى رفضت  
أن تخضع لسلطة آدم .. قررت أن تمرد عليه من ثم عوقبت

بأن صارت هذا المسخ ، وهناك اليوم جمعيات نسائية عديدة فى  
إسرائيل ترفض سلطة الرجل وتعتقد أن الوقت قد حان للخلاص  
منه . وشعر هذه الجمعيات هو ( ليليث ) نفسها !

كذلك يعتقد اليهود أن سيدنا ( سليمان ) عليه السلام شك فى  
( سقيس ) ملكة سبا عندما رأى أن ساقها مشعرتان أكثر من  
الآدم وحسبها ( ليليث ) . كان هذا حين كشفت عن ساقها  
عندما خشيت أن تبذل بالماء وهى تدخل قصر البلور الذى بناه .

هناك أساطير تتحدث عن كون ( ليليث ) عقيمة لا تتجب ، وأساطير  
تتحدث عن انسها الأشرار مثلها الذين يطلق عليهم ( ليليم ) .

نسيت أن أقول إن زوجها يدعى أزيموديوس...

( ليلي ) و ( عبد العظيم ) كلمات عبرية .. صلوات . امرأة ذات  
ساقين مشعرتين . أطفال البنية يموتون وهم يضحكون هل يمكن  
تصور أن هذه الشيطانة العبرية اتخذت مسكنها فى هذه البناية  
بلاذات ، ولها قررت الانتقام من هؤلاء الذين أبنوا عنها الشرطة ؟

لهذا - لا تمنى - قمت بحونة على كل شقق البناية . لا أعرف  
كيف صدقت هذا كله ، ولا كيف أقنعت الحيران به .. لكنى فى كل  
غرفة أطفال فى كل شقة بالبناية كتبت على الجدار بخط واضح  
( ستسينوى ) ..



حاولت أن أبقى الأمر سراً .. لكن الجيران الذين اعتبروني  
جننت تماماً مؤخراً تهامسوا بالأمر ..

لهذا كنت أصعد في الدرج حينما نظرت إلى أعلى فرأيت تلك  
المرأة تطل على من فوق .. لو أن النظرات تقتل لقتلتني تلك  
النظرة .. سرعان ما تواريت في شفتى وأنا أرتجف ..

\*\*\*

الثانية عشرة ظهراً ..

لكني نائم في فراشي ..

أنا من الذين ينامون متأخراً جداً .. في الحقيقة مبكراً جداً ..  
سوف أستيقظ في الثانية بعد الظهر .. هذا يجعلني أظفر بثمان  
ساعات ..

لكني أشعر بشخص ما معي في الحجرة خائفة الإضاءة ..

أرفع عيني لأجد مدام (ليلي) تقف جوار زوجها وهما ينظران  
لي في ثبات ..

متى دخلا وكيف ؟

أهبط متيقظاً لأجدها تقول في ابتسامة وحشية وهي تتقدم  
نحوي :

« أنت منعقنا من الاعتداء على أي طفل في البناية .. لفظة  
(ساتسينوى) على الجدران حيلة بارعة ، لكذلك نسيت أن تكتبها  
على جدارك ! »

قال زوجها (عبد العظيم) الذي هو في الحقيقة (أزيموبوس) :

« تسمى أنهم كثوا ينصحون الرجال ألا يناموا وحدهم في الدار  
أبداً لأن (ليليث) لم تكن تكتفى بممارسة نشاطها مع الأطفال ، بل  
كنت تختار أحب الرجال للناعمين على ظهورهم لتمتص دمهم .. »

يبدو أننا في عالم مليء بالشياطين التي تقتل الرجال الناعمين  
على ظهورهم ..

كدت أقول هذا لولا أن مدام (ليلي) وثبتت فوقى .. وثبة  
حيوانية جداً رشيقة جداً كأنها ذئب لا أنثى ..

في هذه المرة يبدو أنها ستجرب مص الدماء ولن تكتفى  
بخفى ..

لاميا .. لاماستو .. ليليث .. الأخوات إمبوسى ..

لا يهم ..

فقط أعرف أن هذا الشيء قوى جداً وأنه يسحقنى ....

\*\*\*



لم يلتقط له أحد صورة ..

وبرغم هذا يؤمن الكل هناك بوجوده ..

انظر لساعتي فأجد أنها الواحدة ظهراً . من ثم أعرف أنني  
ولاد ملاقيه ..

هأنذا مع صديقي الأمريكي المتحمس دوما نفاضب دوما  
( هارى شيلدون ) نحن فى ( وست فرجينيا )

مدينة ( بوينت بليزنت ) مدينة صغيرة ، من الطراز الذى  
وصفه ( مارك توين ) قائلًا :

« كل واحد وكلبه يعرف كل واحد وكلبه .. »

هدوء عام . شوارع خالية بضعة أطفال يلعبون جوار  
البيوت فى الحدائق . لقد سرق الأمريكان مساحات أرض  
شاسعة من الهنود ، أكثر مما يحتاجون له لو أردت رأيي .. لهذا  
هناك كلمة واحدة تصف الحياة فى هذه الولايات : الاتساع .

نحن فى الحديقة الخلفية لدار ( نويل بارتريدج ) . مزارع من  
البلدة اشيب الشعر لم يعد يفعل أى شيء سوى الجلوس فى  
الحديقة ومراقبة الطريق المقفر ..

يقول لنا بينما جهاز التسجيل يدور :

« كنت قد سهرت مع ( كلارا ) فى تلك الليلة ، وفرغ ما لدى من  
شراب نهضت الى المخزن فى الظلام لأحضر زجاجة أخرى ..  
هناك شعرت بوجود شيء ما .. رفعت عيني ببطء فرأيت .. »  
قالت له :

« هل هو كما وصفته للصحافة أم أنهم يبالغون ؟ »

« بالصبط كما وصفوه .. فى البدء حسبته متسكفا ثم أصبني  
الرعب لانه فارغ الطول حقاً .. اعتقد أن طوله يقترب من عشرة  
أقدام ( ثلاثة أمتار ) . عندما نوت أكثر اكتشفت أنه بلا رأس ...!  
وفجأة حرك جناحين عملاقين ووجدته يرتفع أمام عيني كأنه  
وطواط أسمى هائل تحجم !!! رحت لأصرخ كالمجنون بينما هو يرتفع  
ويرتفع وسرعان ما رأيت ظله على خلفية من قرص القمر كذلك  
الصورة الشهيرة للرجل الوطواط .. »

« هل يبدو كبشرى ؟ »

- « كان الظلام شديداً .. لكنى قدرت أنه مكسو بفراء أبيض وأن له عيين حمراوين .. عينان على جاتبي صدره لأنه بلا رأس فيما عدا ذلك هو يمشى على قدمين . يمكنك أن تتصور بسهولة أنه رجل .. »

استمت في سرى .. لم يقع في الشرك .. كنت أتوقع أن أسأله عن كيفية وجود عيين في مخلوق بلا رأس ..  
أردف الرجل :

- « بعد هذا تكرر ظهوره .. كان هذا هو العلم 1966 .. كثيرون رأوه خارج ديارهم ليلاً وفي كل مرة كان يحلق مبتعداً معظم من رأوه أصيبوا برعب دام معهم ، وصار من الصعب أن ترغمهم على المشي ليلاً في طريق مقفر . لو أردت الدقة ، هناك أكثر من مائة مشاهدة له في تلك الفترة .. »

ثم جرع جرعة من الشراب وأشعل سيجاراً وقال :

- « الصحافة اهتمت بالموضوع .. ذكرهم منظره بشخصية هذا الشبح الوطواطى في القصص المصورة ، من ثم اشتهر بهذا الاسم .. الرجل العث .. Mothman .. فيما بعد زار البلدة صحفى يدعى ( جاك كيل ) ودرس الطاهرة وقبل الشهود لقد لاحظ أن التيار الكهربى ينقطع فى البلدة عندما يظهر هذا الرجل العث .. لاحظ أن أصواتاً غريبة تسمع فى الجوار .. لاحظ أن كوارث معينة تحدث بعد ظهوره . لذا أصدر كتاباً اسمه . اسمه .. »

وتقلص وجهه العجوز محاولاً التذكر فقلت :

- « نبوءات الرجل العث هذا هو اسم الكتاب .. »

قال مؤيداً :

- « نعم . نعم .. لكن الرجل العث اختفى تماماً منذ عام 1967 .. لم نسمع عنه أى شيء .. قال العلماء إنها هلوسة جماعية .. ربما .. عندما أعيد التمعن فى فكرة أن وطواطاً يمشى على قدمين ارتفاعه عشرة أقدام موجود فى الجوار ، أعرف أنني أهلوس .. »

سأله ( هارى ) وهو يضع ساقاً على ساق :

- « لكن البلاغات عادت منذ أيام .. »

حك العجوز رأسه وقال :

- « نعم . نعم .. جاءت بلاغات كثيرة من أطفال . من نساء .. وفى كل مرة يتكرر الوصف .. أعقد أن ذلك للفيلم التلفزيونى هو السبب\* إن الناس يفكرون بالضبط كما تعلمهم السينما وليس العكس .. »

( \* ) لا يتكلم عن الفيلم الشهير الذى قام ببطولته ( ريتشارد جير ) بل عن فيلم تلفزيونى وثائقى قديم تذكر إن هذه الأحداث تقع قبل التسمينات .



رأى لا بأس به من فلاح بسيط . قديماً قال ( أوسكار وايلد )  
إن الطبيعة تقلد الفن ، وقال ( أندريه مورو ) إن الناس يحبون  
بالطريقة التي تعلّمها عليهم قصص الحب للرقبة في عصرهم ! هذا  
ينطبق على الرعب . السينما تعلمنا كيف نخاف وما الذي ينبغي  
أن نخاف منه !

أغلق ( هارى ) جهاز التسجيل وشكر الرجل .

خرجنا إلى الشمس الساطعة في الخارج . هذه القصص قد  
تثير الرعب إذا سمعناها ليلاً في غرفة مظلمة باردة أو في حقل لا  
ضوء فيه .. بالتأكيد سوف تتلفت حولك لدى سماع أى صوت .  
أما هنا مع كل هذه الشمس والدفء فالأمر يبدو مضحكاً ..

كنت أنا و ( هارى ) هنا لأن صحيفة أمريكية صغيرة تهتم بالتطواهر  
الفورية Fortean طلبت من ( هارى ) أن يكتب لها دراسة عن  
ظاهرة رجل العث التي عادت .. طبعاً سمعة ( هارى ) تنامت في  
هذا الصدد بعد مغامرتنا مع الزومبي وبعد عدة قصص مماثلة .

إنه خبير كمبيوتر ولا علاقة له بهذه الأمور ، لكن ما علاقتى  
أنا كاستاذ أمراض دم بها ؟ لقد طُلب منى أن أرافقه بما أننى فى  
الولايات ، وقد وافقت على الفور . ( هارى ) يقبل أن يصحبنى  
فى أى مكان أطلبه .. على أن أرد له هذا الجميل .

قلت له :

- « لا جديد . ما لم تلتقط فيلماً كاملاً لرجل العث هذا فنن  
يصدقك أحد . وسوف يظهر خبير من شركة ( سونى ) يفحص  
شريط الفيديو ويؤكد أنه مزيف .. »

قال ضاحكاً :

- « الشيك الذى سأثله من المجلة .. هذا هو ما يهمنى حالياً ..  
يجب أن أتفق لأعيش كما تعلم .. »

هكذا مشينا فى البلدة الهادئة .. هناك شاهدان نقابلهما ونسهر  
قصتنا هنا ..

كانت محطة الوقود هى المكان الذى حملتنا أقدامنا له .. هناك  
شاحنة عملاقة يبدو أنها تفرغ حمولتها من وقود الآن . سيارتنا  
تقف فى ساحة انتظار على بعد خطوات .

قلت لـ ( هارى ) وأنا أتناوب :

- « اسمع . يمكنك إنهاء اللقاءين الأخيرين من غيرى فقد  
سمنت هذه القصص .. سوف أجلس فى الكافتيريا الملحقة بهذه  
المحطة لأشرب قهواً من القهوة .. سوف أنتظرِكَ هنا . »

قال لى باسمًا :

- « نفس الملل القديم أنت لن تتغير أبداً . »

« يمكننى أن أملاً لك كتاباً كاملاً بحوادث رؤية رجل الجليد الغامض ورجل العث .. شاهدناه فى الساعة التاسعة مساء .. حاولت التقاط صورة له لكنه توارى .. إلخ .. دعنى فى هذا المقهى وسوف أملاً لك عدة مقالات .. »

« أحمد الله لك لم تصر صحفياً .. إنى لصرت صحفياً نصلاً .. » دخلت الكافتيريا وحدى وجلست على أحد المقاعد العالية أمام الكاونتر ..

انتظرت أن يظهر أحد .. الساقى العجوز ذو الكرش أو الساقية الملول التى تعلق مريونة .. لم يظهر أحد .. هناك جرس أمامى قرعته لأنهم يفعلون ذلك فى السينما .. لكنه لم يصدر صوتاً ..

لم يأت أحد بجرس أو من دون جرس ..

صحت بصوت عال :

« هيبه ! »

ثم تنبعت لشيء غريب ..

لماذا يسود الظلام الكافتيريا بهذا الشكل ؟ صحيح أننا فى الظهيرة ولكن الكافتيريا فى الظل ولا تتصلل الشمس لها معنى هذا أن التيار الكهربى مقطوع ..

هذه حادثة نادرة جداً فى أمريكا .. بينما فى مصر كنا نتوتر إذا عاد التيار الكهربى ..

نهضت قاصداً المطبخ .. تطفل وقح لكن له ما يبرره ..

هنا أدركت معلومة جديدة تضاف للظواهر الفورية ..

من قال إن رجل العث مسالم ؟ هذه معلومة خاطئة .. إنه يهاجم الأحياء ويمزق أعناقهم ..

لقد وجدت جثتين .. ثلاث جثث هناك فى المطبخ وكان الدم يلوث كل شيء ..

نظرت للسقف فوجدت أن زجاجه مهشم .. بصعوبة استطعت أن أرى ذلك الجسم الشبيه بوطواط عملاق يتحرر من الزجاج المهشم ليخلق مبتعداً ..

لا توجد أوهام هنا .. هذا ليس طائراً ..

لقد كان الشهود دقيقين جداً .. التيار الكهربى انقطع فعلاً فى لحظة ظهوره ..

هرعت إلى الباب وقلبى يتوالت فى صدرى ..

يحب أن يعرف ( هارى ) هذا .. يجب أن يعرف الجميع هذا ..

لكنى إذ فتحت الباب هبت نفحة من هواء ساخن فى وجهى ..

تراحعت للخلف وألقيت نظرة من النافذة ..

رأيت كابوساً حقيقياً ..

النار تشتعل في محطة البنزين بأكملها وتحيط بالكافيتيريا ..  
لقد اشتعلت النار في تلك الشاحنة المحملة بالوقود ..

لا يمكن الخروج من الباب الرئيس ..

هنا دوى انفجار مروع فسقطت على الأرض .. وتطيرت الشظايا  
في كل صوب .. وبدأ كل شيء في الكافيتيريا يشتعل ..

لقد اشتعل خزان كبير أو انفجرت الشاحنة ..

لقد صدق هذا الجزء كذلك .. معنى ظهور رجل العث أن هناك  
كارثة على الأبواب ..

حريق عام مهيب سوف يلتهم نصف البنية على الأقل  
سوف تكون كارثة يورخون لها وتتحدث عنها الصحف طويلا ..

المشكلة هي هل يلتهمني أنا أيضا أم لا ؟

ما قيمة واحد مقابل كل من سيموتون في هذا الحادث ؟ سؤال  
وجيه .. لكن هذا الواحد هو أنا .. أنا الذي يعتقد .. ككل إنسان -  
أن الكون ديكور وضع في خلفية حياته ..

يتوقف الأمر على وجود مخرج آخر لم تحاصره النيران ..

ادعوا الله معي أن يكون هناك منخل آخر ..



في تايلاند يطلقون عليه اسم ( لاي تاي ) .. ويتهمون ما  
يدعى بـ ( في أم ) أو ( شبح الأرملة ) \*

في اليابان هو ( توك كوري ) ..

في الفلبين يطلقون عليه ( باتي بات ) ..

في فيتنام اسمه ( تسوب تسوانج ) ..

في اندونيسيا العربي أطلقوا عليه اسم ( مرض بروجادا  
brugada ) ..

تكلموا قصصا ممثلة عن ( الجثود ) وفهموا لماذا يقوم  
شرجتر في تسرق الأقصى تصغ شعدهم بأحمر لتشفاه قبل النوم .

من يحسبهم الشيطان نساء فلا يقضى عليهم

\*\*\*

تسبب - مرض البروجادا - في أحد مؤتمرات مرضى القلب في



هذا الطبيب الأمريكى ذو الأصل الأسبائى الذى قضى حياته يدرس هذه الظاهرة ، قد وصل إلى استنتاجات مهمة ..

وقف هناك فى قاعة المؤتمرات وألقى نظرة على الشريحة المعروضة ، ثم قال بصوت جهورى وبكثرة أسبانية واضحة :

« يدخل الشاب تحت الأربعين فرائشه وهو متمتع بكامل صحته ولياقته فى الصباح لا ينهض من نومه . هذا المرض متفشى فى جنوب شرق اسب .. فى تايلاند يعتبر هو السبب الثانى لوفاة الشباب بعد حوادث المرور .. لوحظت أكثر الحالات فى البحارة الفلبينيين ، وفى اليابان يقصد الشيوخ المعبد البوذى داعين أن يموتوا بهذه الطريقة بدلاً من عذاب الشيوخة .. »

ثم ظهرت على الشاشة صورة شاب أسوى ميت جدا . وقال :

« هكذا يبدو فى الصباح فى التراث الشعبى تشرق الشمس . يؤمنون بأن شيطاناً يتسلل ليحتم فوق صدر الفتى فيحنقه وهو نائم .. هناك من يسمعون صوت لهاث واختناق فى الليل هذا يذكر الغربيين بترائهم عن الجاثوم والثقوبة .. »

الشريحة التالية كانت تظهر قنباً يتم شريحه .

« د . (جونزالو) من البحرية الأمريكية قام بتشريح 11 جثة . فى كل مرة يجد القلب سليماً تماماً .. أى أننا نتحدث عن موت فجائى فى قلب سليم تشريحياً ووظيفياً .. »

ثم ظهرت على الشاشة شريحة تظهر تخطيط قلب ECG ..

كانت هناك موجة شريفة الشكل . موجة لم أره من قبل فى أى مرجع طبى ..

قال د . (بروجادا) بلهجة انتصار :

« عندما أجريت دراسة واسعة على الأسبانيين تبينت هذه الموجة غريبة الشكل .. أطلقت عليها اسم (زعنفة سمكة القرش Shark's fin) .. لاحظت أن الرجال الذين لديهم هذا التخطيط مستعدون دوماً للإصابة باختلال ضربات فى الليل .. هذا هو ما قرر العلم أن يطلق عليه (مرض بروجادا) أو (علامة بروجادا) .. إنها حاصية وراثية تنتشر لدى الشباب الأسبانيين .. وبهذا يمكننا أن نضع عيوننا على من يحملون هذه الموجة ، وأن نقوم بزرع جهاز لتنظيم ضربات كى يتقلى اختلال الضربات أثناء النوم .. »

ثم حيانا بلهجة من يطالبنا بالتصفيق ..

بالفعل التهبب الأكف ..

لقد وجه العلم للخرافة ضربة قوية أخرى لا توجد شياطين ولكن توجد موجة مضطربة شريفة يسهل التنبؤ بها ..

قابله بعد المؤتمر فصافحته وعرفته بنفسى ، وقالت :

- « يمكن القول إنك قضيت على أسطورة الجاثوم والثقوبة .. »

قال ضاحكاً :

- « بالفعل . وإن كانت هذه الموجة غير شائعة في العالم الغربي .. توشت أن تكون متلازمة آسيوية »

من الممتع أن تقابل أحد العلماء الحقيقيين الذين ظفروا بأن يطلق اسمهم على مرض . والأهم أن هذا يتم في حياتهم ..

\*\*\*

لقد مر عام على ذلك المؤتمر . ولنا الآن في عيادة د ( فكري ) راقداً على فراش الفحص بينما تلك الأقطاب على صدرى .

من جهاز تخطيط القلب يخرج ذلك الشريط الطويل .

يتجه د . ( فكري ) ليفحصه مقطباً أعرف أنهم يحيون هذه اللحظة عندما تتعلق أنظار المريض بوجوههم .. يطيئ النظر . لكنه ينسى أنني طبيب باطنى بدورى ولن يخذعنى

يقول لى ضاحكاً :

- « فى كل مرة يخرج تخطيط القلب فى شكل جديد أتوقع أن أرى لوحة سريالية فى المرة القادمة .. هذا التخطيط يصلح لتدريس كل أمراض القلب عليه .. »

- « وهل هذا جديد ؟ »

قال وهو يشير لموجة غريبة الشكل :

- « هذه الموجة المتكررة لم تكن معتادة من قبل .. » نظرت إلى ما يعنيه فرأيت المنظر المميز لزغفة سمكة القرش ..

قلت وأنا أدقق فى الشريط :

- « هذه موجة ( بروجادا ) زغفة سمكة القرش .. »

اهتسم ونظر لى وقال :

- « هل تعرف هذا الموضوع ؟ أنت مثقف فعلاً .. »

لكن الأمر غريب .. من المفترض أن من يحملون هذه الموجة يولدون بها . وهم كذلك آسيويون على الأرجح .. دعك من أنني لست تحت الأربعين ..

سألته فى قلق :

- « هل يعنى هذا أنني مستعد للموت أثناء اليوم ؟ »

- « لا .. هذا المرض نادر فى مصر .. »

ثم وصف لى بعض المهددات ونصحنى بالقائمة المعتادة .. تجنب كل ما هو أسود .. الشاي الثقيل .. القهوة .. الكولا .. التبغ .. المزاج المعتدل .. الأحقاد ..

قلت لنفسى إن المرض يصيب الشباب الآسيوى تحت الأربعين أثناء نومهم ليلاً .. ما احتمالات أن يفتك بى أنا الذى لم أتم ليلاً منذ عقود .. أنا الذى تجاوزت الأربعين ولا أحمل إلا جينات قريتى فى محافظة الشرقية ؟

بصراحة .. الاحتمال صفر ..

\*\*\*

فى ذلك اليوم نمت فى الثامنة صباحاً .. هذا هو الليل عندى يوم لا أكون مرتبطاً بالعمل ..

كان نوماً عميقاً مريحاً .. أعتقد أنه كان بلا أحلام ..

فقط صحوت من النوم فى الثانية بعد الظهر ..

ست ساعات من النوم الهادئ .. وأمامى ساعتان أخريان ..

كنت وحدى فى غرفة النوم خائفة الإضاءة لأن الستائر مسددة .. وحدى فى الشقة .. لا شيء يؤلمنى سوى .. سوى ذلك الشعور الممض بأن هناك من يجثم على صدرى ..

أريد بعض الهواء .. أريد ..

رفعت رأسى فوجدت ما يشبه كائنًا شيطانيًا له وجه د. (بروجادا) يجثم على صدرى .. له حجم قرد صغير لكنه ثقيل جدًا .. لا أستطيع أن أزيحه ..

هذه هلوسة .. هلوسة تداخلت فيها الرؤى كما يحدث مع الكوابيس ..

لا تخف يا رفعت .. الموت بمرض بروجادا لا يحدث إلا ليلاً ..

هنا تذكرت الحقيقة المرعبة ..

إنها الثانية بعد الظهر .. الساعة 14 .. موعد مواجهتى لخطر يبدأ بحرف N ..

ربما تم التغاضى عن موضوع الليل هذا فقط من أجل القضاء على ..

لكن لا تخف .. إن بروجادا يبدأ بحرف B .. لو هلك الآن فلن يكون بروجادا هو السبب ..

لحظة ..

ماذا يطبقون على مرض بروجادا فى المراجع الطبية ؟

يطلقون عليه اسم (متلازمة الموت بالكوابيس) Nightmare death syndrome أو NDS ..

لقد وقعت فى الشرك يا صديقى .. إنه موعدك كى تلقى نهيتك على يد خطر يبدأ بحرف N .. فى هذه المرة قرر مرض بروجادا أن يغير طباعه من أجلك خصيصاً ..



يا له من كرم !

كنت أفكر فى هذا بينما العالم يتلاشى من حولى . وفى مركز الرؤية تكبر بقعة من اللون الأسود ..

تكبر . تكبر

تكبر .. تكبر .

\*\*\*



يقول لك د. ( هانس شنايدر ) وهو يتحسس إطار عويناته :

- « هذا هو الصندوق .. »

تنظر إلى الساعة المعلقة على الجدار فتجد أنها الثالثة بعد الظهر .. وقت مناسب جدًا لمقابلة مسخ يبدأ اسمه بحرف O لكن ما هو ؟

يقول لك وهو يخرج عدسة يتفحص بها الصندوق :

- « هذا هو ( صندوق الأورجون ) .. أنت تعرف ما قد تجده فى صندوق كهذا . ثعبان .. عقرب . بعض الأوراق .. ماسة الكوهينور .. هل تفتحه ؟ »

قلت له باسمًا :

- « ذات مرة وقعت فى مقلب مماثل مع صندوق ( بندورا ) .. كانت محاكاة للنقصة وهو مقنن رتبته لى كائن شيطانى .. »

رفع حاجبيه ، وقال :

- « هه هه .. »

عرفت على الفور أنه غير راغب في سماع القصة ..

\*\*\*

كنا في النمسا كما تعلم .. في ( فيينا ) ..

وكنيت قد تعرفت د. ( شنايدر ) هذا في إحدى الجمعيات الروحية الغامضة إياها .. كان رجلاً ظريفاً واسع الطم ، وليس هو النصاب الذي توحي به ظروف لقائنا .. إنه مولع بدراسة الظواهر الفورية .. وغالباً ما يعلن أن القصة كلها نصب ..

الظواهر الفورية Fortean هي الظواهر غير القابلة للتفسير بطريقة علمية .. الاحتراق الذاتي .. دوائر المحاصيل .. الأطباق الطائرة .. إلخ . سميت بهذا الاسم نسبة لمن يدعى Charles Fort وهو صحفي أمريكي توفي عام 1932 ، بعد ما كرس حياته لموضوع واحد هو أن العلماء لا يفقهون شيئاً !

لقد لاحق الرجل الظواهر الغريبة في كل مكان بدءاً بالمتحف البريطاني حتى مرتفعات التبت . وكتب أربعة كتب شهيرة منها : ( كتاب الملاعين ) و ( أراض جديدة ) .. كانت طريقته العلمية بسيطة جداً : ما دام هناك من رأى الظاهرة فهي حقيقية ! البحث عن دليل علمي دقيق يضيح الكثير من المعرفة من بين أيدينا !

بعد موت الرجل صار أتباعه في كل مكان يحققون في مواضيع مثل الرجل العث ودوار المحاصيل وطائرات الهليكوبتر

السوداء ، والساسكواش والرجال ذوي الثياب السود .. وهم مستعدون لتصديقك في أي شيء تقوله ..

الحقيقة أن الرجل كان مزيجاً طريفاً من نصاب ومقبول ، لكن إن كان قد حقق من حياته شيئاً فهو أنه ترك اسمه على كل ظاهرة غريبة ...

دعاني د. ( شنايدر ) إلى بيته الريفى الجميل ، وهناك - بعد غداء رائع - عرض على ذلك الصندوق الذى ابتاعه من مزاد عنى ... والغريب أنه ابتاعه من الولايات المتحدة برغم أن صاحبه الأصلي نمساوى ( أو هكذا قيل ) ..

بالنسبة له لم يكن يصدق أن له أهمية ما ، لكنها طريقته المعتادة في عدم الاحتفاظ بأراء مسبقة عن أي شيء ..

قال لى وهو يعرض على الصندوق المعدنى الذى يبدو واضحاً أنه حديث الصنع ، وأنه جاء للعالم في زمن التقنيات الحديثة وصقل المعادن ..

- « ( فلهلم راخ ) ... العالم اليهودى الذى توفي عام 1957 .. واحد من علماء قلائل زعموا أنهم أوجدوا الحياة فى المختبر ! »

أطلقت ضحكة عالية :

- « هـ ينتهى الأمر بالنسبة لى .. لست مستعداً لسماع أكثر .. »

قال :

- « فعلاً هذا هو الجزء المجنون من كلامه .. لم يهتم بهذا الزعم أى واحد من علماء البيولوجى .. لكن الرجل زعم فعلاً عام 1935 أنه توصل إلى إحياء الفحم ، وقد توصل لكائنات وحيدة الخلية تشبه الأميبا .. »

- « وما هو الجزء العقل من كلامه ؟ »

- « هناك كلامه عن طاقة ( الأورجون Orgone ) .. لقد كان مهتماً بنظريات فرويد ثم اختلف معه .. من ثم كون نظرياته الخاصة .. قال إن سبب كل مشاكل الإنسان يعود للاضطرابات العاطفية ، وإن علاج المرء يتوقف على الاستقرار العاطفى .. »

- « فى هذا لم يبتعد عن فرويد نفسه .. »

- « نعم .. لكنه قام بجمع طاقة ( الانتشاء Orgasm ) هذه . الطاقة التى يشعر بها الإنسان لحظة النشوة ، وأطلق عليها اسم ( أورجون ) ، وزعم أنها قابلة للقياس .. وزعم أنه وضعها فى صندوق .. المفترض أن هذا الصندوق قادر على شفاء أى مرض نفسى .. »

- « فكرة جميلة لكن أى مصحة عقلية تعج بعابرة مثله .. »

ابتسم د. ( شنيدر ) ، وقال :

- « على كل حال قر الرجل من النمسا عام 1939 قبل أن يحوله النازيون إلى سجن .. هرب إلى الولايات المتحدة وبدأ يمارس طريقته فى العلاج .. طبعا ليست الأمور سائبة بهذا الشكل فى الولايات المتحدة ، وسرعان ما وجد نفسه فى السجن عام 1956 بتهمة الدجل لأن إدارة الدواء والعلاج FDA اتهمته بذلك .. ومات فى السجن بعد عام .. »

- « قصة مأساوية .. »

- « الجميل فى الأمر هو أن لدى ما يؤكد أن هذا هو الصندوق الذى يحوى طاقة ( أورجون ) .. لقد دخل ( راىخ ) السجن ، واستولى على الصندوق أحد تجار العلبات ليبيعه لثرى .. وسرعان ما بيع فى مزاد علنى . ترى ماذا يوجد فيه ؟ هل هذا ممكن ؟ الطاقة التى تحرك البشر والمسنولة عن علاج كل اضطراب نفسى هنا ؟ فهل نفتحه ؟ »

قلت وأنا أتحصن المعن الصقيل للصندوق :

- « لم لا ؟ »

بحث عن بعض الأدوات وراح يعالج القفل المعقد الذى يفتح الصندوق . كان هناك لسان ينزلق إلى جانب .. وكأنت هناك مجموعة من البراغى ..



أخيراً فتح الصندوق .. ومددنا عنقينا في توجس لنرى ما فيه ..  
كان فارغاً تماماً ..

فقط كانت هناك ورقة كتب عليها بالألمانية : ( طنقة أورجون ) !  
انفجرنا ضاحكين ..

دعابة عملية قاسية فعلاً .. خاصة بالنسبة للرجل الذي دفع  
مالاً من أجل هذا السخف ..

قلت له وأنا أسترخي في مقعدى :

- « هذا درس قاس لكنه يطعمك الكثير .. »

- « لميت هذه أول مرة ! »

جلست أتأمل الحجرة .. ثم توقفت ..

على السقف أرى تلك البرص العملاق الذى يبلغ حجم تمساح ..  
متى دخل وكيف ؟ هل هذا طبيعي ؟

صرخت لأدى د. ( شنايدر ) ، فقط لأجد أن سيارة لاندروفر كاملة  
تتحشر فى فمى فلا أستطيع للصراخ .. بصقت السيارة لكنها ضربت  
( تشى جيفارا ) فى جبهته فصرخ بالأسبانية ونزف دماً ومات ..

د. ( شنايدر ) كان على السقف يمشى بالمقنوب بدا لى هذا  
مضحكاً جداً فرحت أضحك وأضحك ..

هنا رأيته يحلق طائراً وقد تضخم ردفاه كما يحدث فى القصص  
المصورة لإضحاك الأطفال ، ثم ظهر ( فرويد ) على الباب ليخبرنا  
أن الغداء جاهز ..

قلت لـ ( فرويد ) إننا تناولت الغداء فعلاً ..

ها أطبق عقربا الساعة على عنقه وقطعا رأسه .

إنها السادسة مساء .. موعد لقائى مع حرف O .

هذا الصندوق يبدأ بحرف hddtevrvmnbouyoibhjkllhkjlhk .

لا بل هو ملىء بالأورجون .. من هنا جاء حرف O .. أوه ..  
أوه ...

هنا صرخ د. ( شنايدر ) :

- « أنت غول ! أنت لست ( رفعت ) . أنت غول ! ماذا تفعل  
فى بيتى ؟ »

ورأيت فى يده مسدساً يطلق منه الرصاص على .. رحلت  
أحلق فى سماء الغرفة وأنا أضحك .. لن يستطيع الطفر بى لأننى  
صديق ( أبو العلاء المعرى ) .. من يستطيع أن يقتل صديق  
( أبو العلاء المعرى ) ؟ إنه لواء شرطة شديد الأهمية واسع  
النفوذ .. أنت غير نظيف يا د. ( شنايدر ) . لديك تمساح على  
السقف . منذ متى يعمل ( فرويد ) خادماً عندك ؟

للحظة استعدت وعيى وفطنت إلى أننى أركع على أرضية  
الغرفة الخشبية أقاتل وأشرح وجهات نظر لا وجود لها .  
وفطنت إلى أن (شنايدر) يمسك سدساً فعلاً وهو يحاول جاهداً  
أن يصوبه على ..

- « (شنايدر) .. كف عن هذا ! »

لكنه لا يسمع ..

كان (رايخ) نصيباً فيما يتعلق بخلق الحياة ، لكنه فيما عدا  
هذا عبقرى .. عبقرى بالتاكيد ..

بطريقة ما وفى ظروف ما تمكن هذا الرجل من جمع المادة  
الخام للجنون ..

لقد وضع الجنون فى هذا الصندوق وأغلقه .

ثم جاء (شنايدر) ليفتحه !

إنه يصوب سدسه نحوى وهذه المرة يبدو أن تصويبه تحسن .

فليرحمنا الله جميعاً !

\*\*\*



أنت تعرف هذا الطريق ..

تنظر إلى ساعة يدك فتجدها الرابعة بعد الظهر ..

الرابعة بعد الظهر .. لكن ما سبب هذا الظلام ؟ وما سر  
المصاييح المضاءة فى الشوارع ..

كل شيء كئيب غريب .. والضباب اللعين يجعل الرؤية شبه  
مستحيلة .

لكنك تعرف هذا الشارع وتعرف هذا الجو .. بل إنك - لو شئنا  
الدقة - تعرف رائحة هذا الضباب ..

أنت فى (لندن) .. لا شك فى هذا .. أنت جئت لندن عشرات  
المرات .. يمكن القول إن هناك جزءاً بريطانياً فى عقلك .

لو شئنا الدقة أكثر لقلنا إنك فى شارع (سات ماركس) فى  
(نورث كنزنجتون) .. هل تذكر المزحة التى كنت تتبادلها مع  
صديقك المصرى الذى قال إنه ضل طريقه فى العاصمة  
البريطانية ؟ قلت له أن يسأل الناس عن مكان (نورث  
كنزنجتون) .. هذا يخبره باتجاه الشمال على الأقل !

لكنك بالفعل لا تعرف إلام تتوجه ومن تقصد .. لو كان هناك هاتف قريب لاتصلت بـ ( ماجى ) ، وإن كانت لن تخف لنجدتك لأنها هناك فى الشمال فى ( أنفرنسشاير ) ..

أنت تمشى باحثاً عن هدى أو ضوء ..

فجأة ترى الكشافات ويذوب الضباب . تثب إلى الرصيف لترى ذلك الوحش الأحمر يتقدم خارجاً من المنحنى . الحافلة البريطانية ذات الطابقين double - decker حمراء اللون التى تميز ( لندن ) ..

هذا جميل .. على الأقل سوف تقودك إلى مكان ما تعرفه .

ينفتح الباب فتصعد ..

السائق ينظر لك فى فضول .. إنه رجل أشمب يلبس نظارة سوداء وفى الخمسين من عمره . له سحنة بريطانية جداً .. يقول لك بتلك اللهجة المميزة للطبقة العاملة :

- « عصراً سعيداً يا سيدى .. »

- « عصراً سعيداً .. »

وتضع العملة فى آلة الصرف التى جواره . وينغلق الباب ..

تتقدم وسط الحافلة لتجلس خلفه ..

حتى هذه اللحظة أنت تتساءل عن المسخ الذى يحمل حرف P .. على الأقل هذه حافلة Bus وهذا سائق driver .. لا يوجد شيء مريب ..

تشق الحافلة طريقها فى شوارع لندن ، بينما تسأل السائق متجاهلاً التعليمات التى تطلب منك ألا تتحدث معه :

- « أين نحن ؟ »

يقول لك وهو ينظف الزجاج بمنشفة :

- « ( كامبردج جاردنز ) ... لقد قابلناك عند تقاطعها مع شارع ( سانت ماركس ) .. من حسن الحظ أنك وجدتنا .. »

- « وما المشكلة ؟ »

- « أنت تعرف موضوع الـ ( بوبو باوا ) . »

هنا ملت نحوه وقبل أن تسأل عن أى شيء آخر توجه له سؤالاً :

- « هل يبدأ هذا الاسم بحرف P أم B ؟ »

- « P يا سيدى كما فى Pen .. هل سمعت عنه ؟ »

- « لا .. »

قال فى استمئاع وهو يدير المقود نحو اليسار :



« هنا فى هذه المناطق مهاجرون أفارقة .. يحكون عن عفریت اسمه ( بوبو باوا ) .. يبدو أنه جاء معهم من أفريقيا .. إنه يهاجم الرجال ويعتدى عليهم ، والحقيقة أن هناك هجمات عدة هنا ، لكن الشرطة لم تجد أى دليل .. »

استرخيت فى مقعدى .. هذا هو الممسخ الذى سأقابله الآن .. لا تضع وقتك فى الشرح يا صاحبنى .. هذا الكائن لى .. إنه مخصص من أجلى ..

\*\*\*

تحاول أن تختلس النظر لتجاسمين معك فى الحافلة .. لا شيء .. إنهم صامتون وأكثرهم نغم ..

تعود بنظراتك إلى ظهر السائق الجالس أمامك .

تراه ينظر لك فى المرأة وهو يبتسم خلسة لا بد أنه يستمتع بإفزازك .. لكنه فجأة يتوتر ..

هناك كشافات تظهر فى المرأة ..

« تباً لكم ! »

يقولها ويضغط على دواسة البنزين .. تتسارع الحافلة أكثر .. يصحو الناس من نومهم وينظرون إلى الخلف ..

هناك دراجتان بخاريّتان تطاردان الحافلة كما هو واضح .. تنظر من النافذة جوارك فترى دراجة منها تحت مستوى النظر يركبها شرطى بريطقى صارم الوجه يضع خوذة على رأسه ويتكلم فى اللاسلكى ..

تهتف به :

« هؤلاء رجال شرطة .. لماذا لا تتوقف ؟ »

يقول لك وهو يدير المقود فى منحنيات بالغة الخطر :

« لا تصدق كل ما تراه .. معظم الحوادث التى حكيتها لك بدأت برجال شرطة مزيفين .. »

يهتف أحد الركاب وهو رجل بلف عنقه بكوفية :

« ربما كانوا رجال شرطة فعلاً .. أنت بهذا تخلف القتول .. »

يقول السائق وهو مستمر فى القيادة :

« قل هذا لغيرى .. أنا أعرف كل كونسابلات لندن .. هؤلاء ليسوا منهم .. »

يميل بحدة إلى اليمين .. لا يلمس الدراجة التى بجوارى لكنه أربك سائقها مما جعله يندفع نحو الرصيف .. وهناك اصطدم بالجدار وانقلب ..

- « جميل .. جميل .. »

من جديد يقترب الكونستابل الآخر جوار نافذة السائق ..

المخيف في الأمر أنه لا يأمر السائق بشيء .. لا يبدى غضباً .. فقط ينظر له نظرات باردة من حيث يركب دراجته البخارية ..

تهتف امرأة من الخلف :

- « اقترح أن تتوقف وتفهم .. »

- « لا .. لن يعطينا فرصة .. »

من جديد يسبق الدراجة البخارية ..

(بوبو باوا) اسم هذا المسخ كذلك .. وهو اسم أفريقي جداً .. لكن غريب أمر ذلك المسخ الذي يقود دراجة بخارية

يبدو أن الدراجة البخارية تلحق بالحافلة ..

هذه المرة يرفع الكونستابل جهاز اللاسلكي ويتكلم فيه تحت نافذتك ، بينما الدراجة مستمرة في المطاردة .. لهذا يصيح ولهذا تسمعه ..

إنه ينظر لك في ثبات من وراء نظارته السوداء .. لكنه يواصل الكلام ..

ترى هل يمكن أن يتحزج الزجاج ؟ تحاول ذلك بأنامك مرة ومرتين حتى يهبط .. الآن يتسلل البرد القارس ومعه صوت رجل الشرطة وهو يواصل الكلام :

- « نعم .. أؤكد لك أن (مايكل) أصيب .. أنا أو اصل مطاردة الحافلة الشبح .. لا أعرف ما يجب عمله .. »

هنا فقط تفهم ..

الحافلة الشبح .. ! .. Phantom bus .. ! .. مسخ يبدأ اسمه بحرف P ...

قرأت الكثير عن هذه الحافلة التي تظهر بالضبط عند المنحني الحاد بين تقاطع (كامبردج جاردنز) مع شارع (سانت ماركس) في (نورث كنزنجتون) .. لقد سببت الكثير من الحوادث في الثلاثينات حتى اضطرت بلدية (لندن) لجعل التقاطع أقل حدة ..

هذان رجلا شرطة حقيقيان إذن !

هناك شيء واحد غير حقيقي ..

هنا فقط رفعت رأسي لأجد السائق ينزع عويناته السود .. أرى بوضوح تلك الفجوتين مكان عينيهِ .. لا توجد عيناان .. أنظر للركاب خفي فأفهم لماذا يلتحف معظمهم بهذه الكوفيات ..

يقول السائق ضاحكاً :

- « هل صدقت كل هذه القصة السخيفة عن (بوبو باوا) .. لم يكن الهدف منها إلا التضليل ! على فكرة أنت أول راكب يصعد إلى حافلتنا في التاريخ ! »

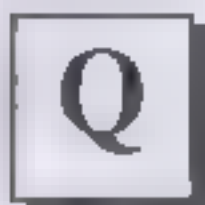
تتكمش في مقعدك ..

ترتجف .. ليس بفعل البرد ..

تنظر خارج النافذة لترى الشرطي ما زال يواصل إبلاغ جهة ما :

- « نعم أؤكد .. أنا أقتفى أثر الحافلة الشبح . أريد تعزيزات هناك ركاب واحد هم ينظر لي من النافذة في ثبات . أعتقد أنه شبح آخر .. بالتأكيد هو كذلك ! »

\*\*\*



الخامسة مساء ..

هناك أكثر من طريقة لكتابة كلمة ( قبالة ) .. ربما تكتبها هكذا Kabbalah أو هكذا Qabbalah .. أو تبدأ بحرف C .. لكننا نتكلم عن الشيء ذاته ..

معنى الكنمة هو ( من الفم إلى الأذن ) واللفظة تحمل معنى ( الاستقبال ) عامة .. إنها تلك الطقوس السحرية ذات الطابع لليهودي ، قيل إن ..

ما هذا .. هذه مغامرة أخرى مكررة ..

الأخ ( لوكريو ) يفش ..

يعتمد على أن اللفظة ( قبالة ) قد تتدرج تحت حرف K أو Q ..

واضح فني مأخووض هذه الساعة للكريهة مرة أخرى إلى أن أصل إلى السادسة مساء . ربما يجلب لي حرف R بعض المرح ..

\*\*\*





يقول لك د ( هانس شنيدر ) وهو يتحسس إطار عويناته :

« هذا هو الصندوق .. »

تنظر إلى الساعة المعقفة على الجدار فتجد أنها السادسة مساء .. وقت مناسب جداً لمقابلة مسيخ يبدأ اسمه بحرف R لكن ما هو ؟

يقول لك وهو يخرج عدسة يتفحص بها الصندوق :

« هذا هو ( صندوق الأورجون ) . أنت تعرف ما قد تجده في صندوق كهذا .. ثعبان . عقرب .. بعض الأوراق .. ماسة الكوهينور .. هل تفتحه ؟ »

تأمل الصندوق ثم تشعر بشيء غريب ..

هل هي حالة متقدمة من ظاهرة ( ديجا فو Dejà vu ) أم أنك بالفعل مررت بهذا الموقف من قبل ؟

مررت به فعلاً في الثالثة بعد الظهر ..

هناك غش في الأمر . الأخ ( لوكيريو ) يكرر نفسه ..

ثم فطنت إلى أن صاحب الصندوق يدعى ( رايج Reich ) . عالم يهودى مجنون يذكرك بـ ( مسمر ) و ( سام كولبي ) .. البعض اعتقد أن ( تسلا ) ينتمى لهؤلاء لكن ( تسلا ) كان عبقرى فعلاً ...

هذه هي مغامرتي مع حرف R إذن . نفس مغامرتي مع حرف O من قبل ..

لا يوجد شيء خلا من الغش في هذا العالم القاسى ..

حتى لغات السحرة الأفريقيين !

\*\*\*



منذ عرفت ( لمياء ) عرفت أنها تنتمي لعالم الشيطانيين إياه .  
كانت قد عادت من الولايات المتحدة ولا تسمع إلا أغاني  
( الديوث ميتال ) . وكانت تتحدث بانبهار عن ( أنطون لافي )  
- الذي كان حياً في ذلك الوقت - وهو مؤسس معهد الشيطان الذي  
يشبه في ملامحه إبليس فعلاً ..

أظفار مصبوغة بالأسود .. حنية في الأنف ..

كل هذا ليس مشكلة .. ربما هو نوع من التشبث المخبول  
بالموضة . لكنها تحافظ باهتمام غير عادي على رقم 6 في كل  
شيء تلبسه ..

السلسلة على صدرها تحمل رقم 616 من الذهب هناك  
وشم على معصمها برقم 616 .. وشم على أعني كتفيها بذات  
الرقم ..

وهي تفخر دوماً بأن عيد ميلادها في السادس من يونيو ..  
أي أنه في 6/6 ..

إن لرقم ستة ذو أهمية شديدة في الثقافة البشرية .. والشعوب  
تتعامل معه بطرق مختلفة .. مثلاً هناك قبيلة أفريقية تطلق على  
رقم ستة لفظ ( إفا ) .. عندما يعجب الشاب بفنأة يقدم لها ست  
أصداف .. فتزد عليه بثمان .. لأن نطق رقم ستة عندهم هو  
نفسه نطق كلمة ( ارتباط ) .. ونطق رقم ثمانية هو نفسه نطق  
كلمة ( موافقة ) ..

بالتنسبة للثقافة المسيحية - الكاثوليكية بالذات - فإن رقم 666  
حسب الكتاب المقدس هو ( سمة الوحش ) . والثقافة الغربية تربط  
هذا الرقم بالشيطان .. قبل أن هذا الرقم يرمز لضد المسيح  
Antichrist وهو قريب من المسيح الدجال عندنا .. أو يرمز لخدمه  
الذي يحمل هذا الرقم على جلده أو على شكل وشم .. ( كراولي )  
الساحر الشيطاني الشهير كان يدلل نفسه باسم 666 ..

على أن أغلب دارسي الكتاب المقدس رأوا أن رقم 616 هو  
الأكثر دقة ..

\*\*\*

كان ( مصطفى ) صديقي هو من جاء لي .. أخبرني بقصة  
( لمياء ) ابنته التي كانت في زيارة لأخيها في الولايات المتحدة  
وعادت بهذه الطباع الغريبة ..

لم يكن يفهم شيئاً .. فقط هو لاحظ أنها لم تعد تستحم .  
وصارت تمضي النهار كله نائمة وتخرج ليلاً

هكذا قتت بزيارته ورأيته .. كانت علامات شك كثيرة تحيط بها فعلاً ..

هكذا خرجت من عند (مصطفى) لأقابل الشخص الوحيد الذى أعرفه فى مصر الذى يمكن أن يساعدنى فى هذه الأمور ..

كان الأب (جيرار) قساً كاثوليكياً يقيم فى مصر منذ أربعين عاماً .. إنه بلجيكى كما يوحى الاسم ، وهو رجل مثقف متعمق فى هذه الأمور .. بالطبع هو يتحدث العربية كأهلها ..

جلسنا نشرب القهوة فى الأبرشية التى يصلى فيها ..

سألته عما أصاب تلك الفتاة .. هل هى مجرد موضة أم أن هناك ما يقتل فعلاً ؟

قال لى باسمًا :

- « الفارق بين الموضة والتغير الحقيقى هو علامة الوحش Mark of the beast .. لو استطعت أن تجد رقم 616 أو 666 على جلدها حقيقة - وليس وشماً - فالأمر مخيف .. »

ثم أصلح من وضع نظارته الرفيعة على أنفه ، وأردف :

- « يخلط الناس بين علامة الوحش التى أحكى لك عنها ، وبين علامة الشيطان Devil's Mark أو stigmata diaboli التى هى ندبة كان صائدو الساحرات يزعمون أن الشيطان يضعها

كعلامة على من يخصونه من البشر .. والنوع الثالث من العلامات هو علامة الساحرات witch - mark التى هى نوع من البروز فى جسم الساحرة اعتقد صائدو الساحرات أن الشياطين ترضع منه .. »

بدأ لى الأمر معقداً ومرعباً بما يكفى .. على كل حال لقد امتلأ كتاب (مطرفة الساحرات) بهراء كثير ، وبسببه هُلك نساء بريئات كثيرات ..

قال لى وقد لاحظ شرودى :

- « أنصحك أن تنسى الأمر .. لن تستطيع عمل شيء حتى لو كانت تحمل دزينة من العلامات .. لن تقتلها وتقول للشرطة إنك قتلت ساحرة .. »

كان محقاً .. للأسف لا أستطيع مساعدة (مصطفى) إلا بأن أقترح عليه طبيباً نفسياً ..

على أن النفس أحضر لى نسخة من كتاب (مطرفة الساحرات) .. الكتاب الذى قرأته متفرقاً فى عدة مصادر .. هذه المرة لديه نسخة مصورة كاملة .. راقى لى هذا كثيراً ..

هذا الكتاب كتبه راهبان من الدومنيكان عام 1486 هما (كريمير) و(ميرنجر) وهما هو دستور محاكمة الساحرات وحرقهن . ويتلخص الكتاب فى أن عبدة الشيطان هم من النساء غالباً لكنهن

أكثر هشاشة وشهوانية وحقدًا. إتهن يقتلن الأطفال وينشرن الأوبئة ويسمنن الماشية. ويركبن المكائن ليلا ذاهبات للغابات حيث ينفسن في الشهوات الجنسية. قيل أيضا إتهن يشربن دماء الأطفال غير المعصنين ويطحن عظامهم لاستعمالها كعصا حارقة. بعد هذا صدر كتاب Compendium Maleficarum الذى كتبه ماريا جواتسو عام 1620 وقد أضاف لهذه الصفات أن الساحرات يركبن فى الهواء على ظهر جدى، ويستطعن الاختفاء عن طريق دهن أجسادهن بكريم خاص. والشيطان يحضر هذه الاجتماعات فى صورة بومة أو جدى مخيف

كانت عمليات الاستئصال قاسية حتى أن النساء المتهمات كن يعترفن فى النهاية ويحرقن، وهكذا يبدو لمن يقرأ التاريخ أن القرون الخامسة والسادس والسابع عشر كانت أعوامًا لا تنتهى من عبادة الشيطان والحرق.

\*\*\*

السابعة مساء ..

اعرف أن موعدى مع حرف S قد جاء . لكن ما هو ؟

هل هو مع علامة الشيطان stigmata diaboli أم مع رقم 6

الذى هو Six ؟

دق جرس الباب ففتحته لأجد أمامى ( لمياء ) كما توقعت ..

- « هل تسمح لى بالدخول ؟ »

- « هل لى أن أعرف السبب ؟ »

- « أنا فى مشكنة وأنت صديق .. ظننت هذا واضحا . »

هزرت رأسى وتحدثت جانبًا ..

جنست فى الصلاة ووضعت ساقًا على ساق وراحت تتأمل شفتى التى تراها لأول مرة ..  
سألتها :

- « كيف حال بابا ؟ »

لم ترد وأشعلت لفافة تبغ ..

لقد سألتها عن أبيها فى حزم كى تتذكر أنها مجرد طفلة وأنى ( عمو ) لا أريد ألعابا سخيفة من فضلك .. دعك من أننى مشمنز فعلاً من مظهرك الذى جعلك تتحولين من فتاة رقيقة إلى كائن أقرب للغراب ..

لولا لعنة الأخ ( لوكيريو ) لما سمحت لك بالدخول ، لكننى مرغم على ذلك .. هذا جزء من القبضة الحديدية التى تحرك الأحداث ..

قلت لها فى رفق :



- « (لمياء) . لتكلم بصراحة .. هل هناك أية علامات غريبة ظهرت في جسدك مؤخرًا ؟ »

نظرت لى ثم ضحكت بدلال ، وقالت :

.. « أية علامات يا شقى ؟ »

يا فتاح يا عليم ! لا أريد أى نوع من هذا السخف .. قلت لها فى صبر :

- « أسألك كطبيب .. هل يوجد أى وشم غريب أو وحة تحمل رقم 666 ؟ .. »

- « بالطبع لا .. »

- « ولا بروز فى أى جزء ؟ نوع من الثآليل أو الدمامل ؟ »

- « لا .. »

عرفت أنها صادقة .. بالتأكد صادقة برغم أن الشيطانيين يعشقون الكذب ..

يمكن القول دون خطأ كبير إنها مجرد فتاة مخبولة أخرى . وقعت فى يد الأصدقاء غير المناسبين فى المكان غير المناسب فى الزمن غير المناسب ..

- « هل تعتقدين أنك أكثر فتنة بهذه الطريقة ؟ بهذه الطباع ؟ »

- « أنا لا أعتقد أى شيء . فقط قابلت فى الولايات المتحدة من أخبرونى بحقيقتى التى كنت أجهلها .. »

.. « وما هى هذه الحقيقة ؟ »

ابتسمت فى غموض ...

هنا شعرت بشيء غريب ...

هل عطرها يدير رأسى ؟ هل أشعر بأننى لست على ما يرام ؟ .. هل .... ؟

ونفضت أحاول أن أتوازن لكن ساقى تخلتا عنى .

سقطت على الأرض لكنى احتفظت بوعى ..

كنت هناك على الأرض وهى ترعج جوارى .. تنفث دخان لعافاة اتبغ فى وجهى .. ثم قلت فى دلال :

- « أصدقائى فى الولايات راعون .. منهم تعلمت الكثير من الأشياء . ومنهم عرفت أننى جئت العالم كى أكون (ثقوبة) ..

هل تعرف معنى الثقوبة ؟ »

نظرت لها عاجزًا عن الكلام ..

قالت وهى تنفث المزيد من الدخان فى وجهى :

« هناك من يأتي العالم وهو لا يعرف أنه موسيقار هناك من يأتي العالم وهو لا يعرف أنه رسام موهوب . أنا جئت العالم وعشت هذا العمر كله غير مدركة أنني (ثقوبة) هؤلاء جعلوني أعرف حقيقتي .. »

الثقوبة Succubus هي المعادل الأنثوي للجاثوم .. أنثى تزور الرجال في كوابيسهم .. بالذات الرجال الناعمين على ظهورهم . تسلبهم الحياة وفي الصباح يجدونهم موتى .

قالت هامة :

« إن دخان لفافة التبغ هو سبب ما يحدث لك .. هذا نوع من المخدرات جلبته من هناك ، وقد اعتنته فلم يعد يحدث شيئاً لي الآن أنت أول ضحية لي في مصر . لا أريد أن أبدأ حياتي بالفشل .. »

هي Succubus .. مسخ يبدأ بحرف الـ S .. ومن جديد كنت أفكر في اتجاه خاطئ تماماً ..

على أنني برغم كل شيء رأيت بطن ساعدها . رأيت بوضوح وحة يمكن أن تتبين فيها شكل 666 .. ليست وشما بل وحة .

هذا يعطيني بعض الترضية قبل موتى .. إنها تحمل علامة الوحش .. لهذا اختاروها ..

العالم يظلم من حولي ..

لم يبق منه إلا رقم 666 ..



من بين كل تراث السحر الذي تركه الفراعنة ، يحظى (تحتوت Thoth) بنصيب الأسد لدى المهتمين بهذه الأمور .

يجب أن نتذكر أن (كراولى) الساحر الشيطاني الأشهر قضى جل حياته يدرس سحر (تحتوت) ، وأن هناك نوعاً من أوراق التاروت يمت له . بل قيل إن أوراق التاروت نفسها من اختراعه .. وهناك طريقة لقراءة التاروت ابتكرها (كراولى) وشرحها في كتاب شهير اسمه (كتاب تحتوت : التاروت الفرعوني) ..

كانت لهذا الإله الفرعوني أهمية خاصة لأن الفراعنة اعتبروه رب الحكمة .. إله السحر عند الفراعنة الذي يتخذ شكل طائر البشون ، أو قرد بابون يحمل قلباً على رأسه ، وإليه ينسب اختراع الكتابة . كما قيل إنه ابن رع الأكبر ، وإنه وزير أوزيريس والحكم بين الناس .

سوف ترى صورته في النقوش الفرعونية على شكل رجل برأس طائر (أبو منجل) أو على شكل قرد البابون .. هل تعرف ما هو ؟ إنه القرد الذي يشبه رأسه رأس الكلب . زوجته (تحتوت) طبيغا - تدعى (معات) وهي امرأة تضع ريش نعام على رأسها ..

إن المنطقة حول المنيا تعد كنزا ثريا من كنوز الدولة الوسطى ..  
جبانة بنى حسن . مدينة هرموبوليس التى تقع شمال ملوى .  
وهى مركز عبادة ( تحوت ) ..

لاحظ أن اسم ( هرموبوليس ) يونانى تماما ومضاه ( مدينة  
هرمس ) ، فقد وجد الإغريق أن ( تحوت ) يشبه إلههم ( هيرميس )  
كثيرا لذا أطلقوا على المكان اسم ( هيرموبوليس ) ... لكن اسمها  
الفرعونى هو ( خمونو ) .. كانت عبادة ( تحوت ) تتم هناك  
وعلى كل حال لم يبق كثير من هذه المدينة ..

فى ( ملوى ) أكبر حشد للآثار الخاصة بـ ( تحوت ) .. مقبرة  
( بيتوسيريس ) و ( هيرموبوليس ) وهناك ( تونة الجبل ) ..  
كانت ( تونة الجبل ) فى الماضى تحد مدينة ( أخيناتون ) كما كانت  
أيضا جبانة مدينة ( هيرموبوليس ) المجاورة .. إن ( هيرموبوليس )  
تبعد خمسة كيلومترات شمالى ( ملوى ) ، و ( تونة الجبل ) ستة  
كيلومترات غرب ( هيرموبوليس ) ..

فى ( تونة الجبل ) مقابر لقردة البابون وطائر ( أبو منجل ) ..  
يمكنك الآن فهم لماذا هذا القرد وهذا الطائر بالذات ..

\*\*\*

لم يبق الكثير من مدينة ( أخيناتون ) .. ( أفق آتون ) ..

المدينة الجميلة التى بناها ( أخيناتون ) ليعبد فيها إلها واحدا  
ولتكون عاصمة العمارنة . بعد وفاة ( أخيناتون ) فى ظروف  
غامضة دمر الكهنة هذه المدينة ، معنيين نهاية عصر التوحيد .  
هكذا عاد ( آمون ) يسيطر على هذه البقاع .. ليس من العسير  
أن تعرف من هو قاتل ( أخيناتون ) .. إن أى شخص يحاول  
تقليل كميات الذهب والفضة واللحم والطيور والفجل والبصل التى  
يظفر بها الكهنة من المتعبدين لـ ( آمون ) .. أى شخص يقلل  
من نفوذهم المرعب هو شخص مقضى عليه بالموت ..

كنت لأجوب تلك المنطقة مع د. ( رمزي حبيب ) خبير المصريات ..  
أن المخطوط الوحيد الذى يمكنه أن يرى تلك الآثار حول ( ملوى )  
بصحبة خبير مصريات وليس بصحبة مترجمان يحكى القصة كما  
يذكرها لا كما هى . خبير مصريات ولد هنا فعلا ...

أعتقد أنها كانت أياما لا تسمى ..

لكنى بالفعل كنت أشعر برهبة .. هناك سر غامض كئيب يحيط  
بهذا العالم ..

فرغت من التقاط الصور فجلست على صخرة هناك أنهت ..

قال لى د. رمزي :

« غدا نمرُ بـ ( تونة الجبل ) .. لن ترى الكثير لأنها خراب ..  
لكنك سوف تجد تماثيل قرد البابون الشهير .. »

كان هذا هو يوم السبت .. وقد قررنا أن نمضي ليلتنا في  
( ملوى ) على أن نتحرك صباحاً ..

هكذا عدنا للفندق الصغير ، وتناولنا وجبة خفيفة ..

كانت قدمائى تعويان ألماً كان فيهما قلباً خاصاً بهما ينبض  
بلا انقطاع ..

قل لى د. ( رمزى ) وهو يبدل ثيابه بثياب نظيفة :

- « لن أستطيع النوم ما لم أجلس على أى مقهى وأدخن  
حجرين .. هل تأتى معى ؟ »

نظرت له فى دهشة .. ما زلت عاجزاً عن فهم هؤلاء الذين  
يدخنون الشيعة .. لو أراد المرء قتل نفسه فماذا هذا التعقيد ..  
لكنه كان يدخن الشيعة كى لا يتجه إلى البديل الأسهل وهو  
السجائر .. لا يريد أن يجد وسيلة الانتحار متاحة أمامه فى كل  
وقت ..

قلت له إتنى مرهق وإنه لو سقطت قبيلة هيدروجينية على  
الفندق فلن أتحرك ..

هكذا غادر المكان وجلست وحدى ..

مر الوقت وهو لم يعد بعد .. ساعة .. ساعتان ..

فى الواقع بدأت أشعر بمثل حقيقى ..

هكذا فعلت آخر شيء يمكن أن أقوم به وهو أتى ارتديت  
ثياب الخروج وأخذت الكاميرا ..

كان الظلام قد خيم على المدينة وأنا واقف على باب الفندق  
أنظر ذات اليمين وذات اليسار ..

- « هل تريد جولة يا أستاذ ؟ »

كان هذا فتى أسمر يقود سيارة أجرة عتيقة .. فكرت قليلاً ثم  
وجدت أنه لا بأس بذلك ..

- « هل تعرف كيف أذهب إلى ( تونة الجبل ) ؟ »

نظر لى فى دهشة .. ثم قال :

- « فى هذا الوقت ؟ لن أستطيع أن أدخل بك هناك .. الطريق  
وعر .. لكننى يمكن أن أقرب المسافة .. »

بدالى أنه من المثير أن تلقى نظرة على جبهة ( هيرموبوليس )  
هذه ، خاصة أتى لست وحدى ، وهى لا تبعد أكثر من خمسة  
كيلومترات .. سوف أرى ما يفترض ألا أراه إلا صباحاً .. هذا  
على سبيل الفض ..



ركبت جواره .. كان فتى صعيدياً ظريفاً يدعى (حميدة) . وقد  
راح يثرثر بلا انقطاع ، وعرض على ألف مرة أن يلقى ليصبحنا غداً  
أو يرتب لنا جولة خاصة . اعتذرت لأن معي خبير مصريات يعرف  
ما يفعله .. خبير مصريات يدخلن الشيشة منذ ثلاث ساعات ..

أخيراً توقفت الفتى بالسيارة قرب مجموعة من الأطلال التي  
غمرها الظلام ، وقال وهو يشير هناك :

- « هنا مقابر (هيرموبوليس) . يمكنك أن تقوم بجولة لكن  
لا تبتعد .. سوف أنتظرك .. »

نظرت لساعتي فوجدت أنها الثامنة مساء .. قُت له إتني  
ساعود بعد ربع ساعة ..

- « لا تقلق يا أستاذ .. نحن صعايدة . سانتظرك مهما طال  
غيبك ، وإلا فكيف ترجع في ساعة كهذه ؟ »

هكذا ترجلت ومشيت بين تلك الأطلال ..

فعلاً لا يوجد الكثير مما يمكن رؤيته ..

لكن القمر شبه مكتمل والرؤية لا بأس بها .

مشيت ومشيت حتى توارت السيارة لكنني كنت أعرف كيف  
أرجع ..

هناك مجموع من الأطلال توغلت بينها حتى وجدت أنني أطل  
على ساحة واسعة ..  
من هؤلاء ؟

شعرت بقشعريرة ..

كان هناك عدد من الناس يقفون في دائرة اشتعلت النار في  
وسطها .. وكان عددهم لا يقل عن العشرين ..

دنوت أكثر وتواريت وراء تمثال متهدم .. إنهم من الغربيين ..  
رجال ونساء .. وهم يقفون كأنهم يؤدون صلاة ما ..

هذا غريب .. منظر غير متوقع في مصر بأي حال ..

وسمعت كبيرهم يقول بالإنجليزية :

- « جننا لنحييك يا (تحت) في سبتنا .. ونسألك أن تقودنا  
إلى موضع كتاب الأسرار !! »

هنا فقط تذكرت ..

لماذا اخترت هذا السبت بالذات ؟

كل ساحر في العالم يعرف ما هو (سبت السحرة) ..  
Great Sabbath بالفعل هو احتفال مهم لدى السحرة الغربيين يقع  
في اليوم التاسع عشر من شهر توت .. اليوم بالذات ..

يعتقد السحرة أن ( تحوت ) كتب كتاب الأسرار الذي يداريه في مكان خفى وحل شفرة هذا الكتاب بمنح سيطرة مطلقة على الطبيعة. نقل الإغريق هذه الصفات إلى إلههم هرمز وولدت ديانة خاصة بهرمز اسمها ( الهرمية Hermites ). وكان سحرة مثل كراولى يحتفظون بهذه الهرمية في خزانةهم.

من يجد كتاب الأسرار يسيطر على الكون أو هذا هو ما يعتقدونه ..

هذا المشهد لن يسعد المختصين بالسياحة عندنا . عدد غفير من السياح جاء إلى مصر . لكنهم في الحقيقة سحرة يريدون إقامة احتفالهم الشيطاني في موعده ..

وأنا تواجدت في المكان والزمان الخطأ ..

فقط لو استطعت لتقط صورة واحدة لهذا المشهد . لريد دليلاً ..

معي الكاميرا .. لكنهم سيرون نور الفلاش بلا شك .. فقط لو جربت أن اضبط الكاميرا على السرعة B التي تتيج لي إطالة التعريض طالما ظل الغالق مضغوطاً ..

صورة واحدة ثم أفر من هنا إلى السيارة

هكذا قمت بتثبيت الكاميرا على الصخرة كي لا تهتز يدي .. وأخذت نفساً عميقاً ..

ضغطت على الغالق ..

هنا فقط تذكرت أن الفلاش ملحق بالكاميرا اللعينة ، ولا يمكن تعطيله .. كنت أمقت تلك الكاميرات الأوتوماتيكية طيلة حياتي ..

وكنيت على حق !

لقد سبحت المقبرة في الضوء الخاطف .

ثم نظرت للوراء ورحت أثب فوق الصخور .. وأنا أسمع الضجيج من خلفي .. أسمع بلغات عدة من يقول : هاتوه ! لا تدعوه يبتعد ! أن تقاطع اجتماعاً للسحرة من تلاميذ ( كراولى ) . أهم اجتماع لهم في العام .. هذا لن يمر على خير ..

أعرف أنني لن أتمكن من الفرار في الوقت المناسب .. أعرف أنني سألتعثر .. أعرف أنني ..

في النهاية أنا على الأرض وسط الصخور . يبدو أن كحلي التوى بشدة لكن هذه ليست المشكلة .. لن يسمعي ( حميدة ) من هنا مهما فعلت ..

حولى أربعة منهم بالعباءات السود .. وعلى الوجوه علامات حمراء لا أشك في أنها رسمت بالدم ..

إنهم يحيطون بي .. أحدهم ينظر للآخرين في رسالة صامتة . كأنه يسألهم فيتلقي إشارة بالجواب .. أفعل .. لقد دنس اجتماعي وعرف أكثر مما يجب ..

ينظر لي ..

ثم يرفع الخنجر ويهوى به ..



من أسخف الظواهر الفورتية Fortean التي تثير أعصابي قصص الأطباق الطائرة .. هناك عشرات القصص عن رؤية الأطباق الطائرة وقصص عن الفضائيين الذين يتون إلى الأرض لاختطاف عينات من البشر ..

بالنسبة للعالم الغربي ، وجد معهد (جالوب) أن ثلث الأمريكيين يعتقدون بقينا أن الفضائيين قد زارونا .. هؤلاء الفضائيون رائقو المزاج يخطفون البشر ، لكن بعد أن يرسموا دوائر في المحاصيل ويمزقوا الماشية ..

ليس هذا فحسب .. إن مستوى الفضائيين الأخلاقي ليس شامخا للأسف ، لأنهم يفتصبون البشر بلا توقف .. هناك تقارير عدة عن اغتصاب البشر بواسطة كائنات فضائية ذات رءوس متضخمة ولون رمادي أو أخضر ..

تتكرر تفاصيل القصة كما يلي : فترة من النسيان ثم استعادة كل شيء تحت التتويم المغناطيسي .. الكل يحكى عن أجسام غامضة زرعها الغرباء في أجسادهم ، وكنهم يصف الغرباء بنفس الطريقة تقريباً ..

ثمة طبيب نفساني من علماء (هافارد) كتب كثيراً عما سمعه من مرضاه عن قصص الاختطاف هذه ، ولما كان مرضاه لا يعتون أية مشاكل نفسية (إس لماذا هم مرضاه ؟) فقد وجد أن الحل الوحيد المريح هو أن هذه القصص حقيقية في مجملها !

يفسر معظم العلماء الجادين هذه القصص بالرغبة الدائمة لدى البشر في (السمو) .. الارتفاع إلى مرتبة أعلى .. إن تجارب الدنو من الموت والخروج من الجسد وتجارب الاختطاف بواسطة الغرباء تشترك في كونها تحمل الشخص إلى (أعلى) .. طبعا موضوع المعاشرة مع الغرباء يدخل في نطاق الزواج من الجنس في ثقافتنا ، وهي مجرد تعبير عن الكبت ويمكن تصنيفه تحت ما يسمونه (التفكير التواقي wishful thinking) ..

\*\*\*

لكنها التاسعة مساء ..

وأنا أقف على الشاطئ الخالي في مرسى مطروح أنظر للسماء لأرى تلك الأجسام المضيئة ..

إن أنا أواجه تجربة مع الـ UFO .. الأجسام الطائرة غير معروفة الهوية التي تزرق الأمريكيين والعالم كله .. من الغريب أن ترى طبقاً طائراً في مصر .. مصر أصلاً لا تقع في النطاق الذي رسمه العلماء لهذه الحوادث .. الكويت مثلاً تقع بوضوح ضمن هذا النطاق ..

التاسعة مساء موعد مواجهة لحرف 1 .. فهل هو يتعلق  
بالأطباق الطائرة أم يتكرر الخداع المعتاد من الأخ (لوكيريو) ؟  
يحلق هذا الجسم بلا انقطاع رأساً دوائر لا تنتهى . ثم يغيب  
وسط الغيوم ..

يمكننى أن أرى انعكاسه فى مياه البحر المظلمة التى تصطرح  
فيها الأمواج ..

من المستحيل أن يمر هذا المشهد من دون أن يراه خفر  
السواحل أو تسجله أجهزة الرادار وتخرج المقاتلات من أجل  
معرفة ما هو ..

هناك جسمان . لو تركت العنان لنفسى لقلت إنهما يشبهان  
الأطباق فعلاً ..

لكن لا .. نحن لا نمزح هنا ..

أسمع صوت (ممدوح) من وراء ظهري يقول كأنه سمع أفكارى :

- « أعتقد أن هذه الأشياء غير مرئية بالنسبة للرادار . أنت  
تعرف تحربة الـ Degaussing البريطانية القائمة على نزع  
مغناطيسية الأجسام ، وبالتالي يمكن التغلب على الاكتشاف  
بالرادار بالنسبة لوحدات السلاح .. لو كان البشر قد وصلوا لهذا  
فلماذا لا يصل له هؤلاء ؟ »

كن (ممدوح) مهتماً بالفيزياء .. إنه الشخص المناسب فعلاً  
لليلة كهذه ..

قلت له فى إصرار :

- « هناك تفسير .. أعرف هذا يقيناً .. لا أصدق هذا الهراء  
عن سفن الفضاء التى تشبه أطباق الشمس .. إن المجلات  
المصورة فى الخمسينات هى التى ألهمت خيال الناس .. هناك  
زوجان زعما أن الأطباق الطائرة خطفتها وأجرت عليهما  
تجارب ، ثم وجد أحد العلماء ذات التفاصيل التى حكياها فى مجلة  
مصورة اسمها (باك روجرز) .. »

كنا منذ نصف ساعة فى فندق يطل على البحر وقد تهيأنا  
للخروج ..

المدينة الساحلية الجميلة شبه خالية لأننا فى أكتوبر .. لقد رحل  
عنها الزحام والصحب ، والآن هى تنهياً لشتاء طويل بارد .. أما  
لماذا كنت هناك فتلك قصة طويلة من قصصى التى لا تنتهى ..  
ليس هذا وقتها على كل حال ..

فى غرفتى نظرت من الشرفة إلى البحر .. كتلة المسود  
الناعمة المرهقة .. فرأيت تلك الأجسام تحلق فوقه .. أجسام  
تتحرك بطريقة غير فيزيائية بالمره .. طريقة لو راها الخواجة  
(نيوتن) لجن جنونه وشد شعره .. طريقة لا علاقة لها



بالاحتكاك بالهواء أو قوايين القصور الذاتى أو بقاء كل جسم فى خط مستقيم بسرعة منتظمة ما لم تؤثر عليه قوة تغير حالته ..

هكذا رفعت سماعة الهاتف وطلبت (ممدوح) فى غرفته ..

- « اخرج للشرفة بسرعة أبها المجنون .. انظر للبحر ! »

وقد فعل لأننى سمعته يصرخ فى السماعة ..

سرعان ما كنا نركض على الشط ناظرين للسماء غير مصدقين .

استمر العرض المبهر نحو عشر دقائق .. وقد خيل لى فى

لحظة بعينها أن المدينة تقيم ألعاباً نارية لسبب ما .. ربما تحتفل

بالسادس من أكتوبر . فقط نحن فى آخر الشهر وليس أوله ..

\*\*\*

ساد الظلام من جديد ، فتنهدت وقلت :

- « انتهى العرض .. »

قال (ممدوح) فى اتبهار :

- « لم نعرف ما كان هذا .. »

- « لن نقدر على إثباته .. ستكون مجرد قصة حمقاء أخرى

مما نسمعه كل يوم .. أعتقد أن علينا أن نحفظ بهذا السر فى

ضعائرتنا .. »

واستدريتنا لنعود ..

هنا خطر لى خاطر غريب ..

الرمال ليست بذات الملمس المعتاد .. هناك شيء غريب ..

رفعت عينى حيث كان الفندق فلم أراه .. كان الظلام يمتد إلى

ما لا نهاية ..

أين أضواء المدينة ؟

- « هل تقطع التيار الكهربى ؟ »

- « لا أظن .. الظلام ليس دامساً . هناك أضواء من بعيد .. »

- « ماذا حدث ؟ »

توقف (ممدوح) ونظر إلى البحر المظلم خلفنا .. فكر قليلاً ثم قال :

- « هل تريد رأيى ؟ لقد تغير كل شيء فى عشر الدقائق التى

وقفنا فيها نرمى هذا المشهد .. »

ونظر إلى ساعته ، وهمس :

- « إنها العاشرة صباح يوم الخامس من سبتمبر ! »

ما مضى هذا ؟ كنا فى آخر أكتوبر وكانت الساعة التاسعة

مساء ! .. هل عدنا بالزمن إلى الخلف ؟

قال لي وهو يتلع ريقه :

- « اعتقد هذا .. بل اعتقد كذلك ان هذه ليست (مرسى مطروح) ! »

- « عم تتكلم ؟ »

نظر لي في وحشية والتمعت عيناه ، وقال :

- « ألم تفهم بعد يا أحمق ؟ لقد تم اختطافنا فعلا ' نحن الآن في عالمهم ! الناس تتخيل أن الأمر يشبه ما يتم على الأرض . تتوقف سفينة فضاء لينزل منها رجال أشداء يحملون زجاجة كلوروفورم وخرقة يضعونها على أنفك . ثم يحملونك بالقوة إلى مركبتهم حيث يقيدونك بالحبال ! نحن نتكلم عن فيزياء مختلفة هذه الأطباق كانت نحلق فوق الشط بحثا عن حمقى يصلحون ومن الواضح أننا كنا كذلك ! »

قلت في عصبية :

- « كف عن التخريف ! »

- « الانتقال تم دون أن نشعر وبطريقة فيزيائية نجهل عنها كل شيء . نحن الآن هناك .. بصراحة فكر لي . هل تجد أي شيء مألوفا من حولنا ؟ »

بصراحة لا . لكني لن أعترف بهذا ..

تركته وجريت باتجاه الفندق - حيث كان - وأنا أصيح :

- « مجرد تقطع للتيار الكهربى لا أكثر . أنت جئت فعلا ! »

لكن الرمال كانت تذوب تحت قدمى .. كأننى أمشى فوق طبق من (الجبنى) . وأدركت بوضوح أن الأفق يتلون بلون أخضر غريب . نظرت للبحر من خلفى فلم أر إلا اللون الأسود .. الحقيقة هى أن كل ما كان مألوفا حولنا قد تحول إلى فراغ .. نحن فى الفراغ حقيقة لا مجازا ...

واصلت الركض ..

ثم توقفت ..

رايتهم هناك فى بقعة من النور تتقدم نحونا ببطء ...

لم أتبين ملامحهم . لا أعرف من هم .. فقط أدرك أنهم هم .

ونظرت إلى حيث كان (ممدوح) فلم أتبينه لأن بقعة من الضوء صنعها هؤلاء كانت تحيط به .. فقط سمعته يصرخ .

- « رفعت .. ! لا .. لا .. »

لا .. ماذا ؟ لا أعرف بالضبط ..

ربما وجدت فيما بعد الوقت الكافى لفهم ما أراد قوله ..

لكن فى اللحظة الحالية يتقدم هؤلاء نحوى فوق الأرض  
اللزجة الشبيهة بالجيللى ..

بعد ثائتين سأعرف الحقيقة كاملة !

\*\*\*



العاشرة مماء ..

أنا وسط الزحام أحمل تلك الكاميرا على صدرى .. الأحرار ..  
حقول قصب السكر من بعيد .. المشاعل .. الطقس الحار ..

لو كانت حساباتى صحيحة ، فأنا سوف أواجه مصاص دماء  
Vampire .. لكن فى هذا المكن ؟ لا توجد لية لمسة قوطية هنا ..

ثم لاحظت الجو الدافئ والوجوه السمر من حولى .. هذه  
جزيرة استوائية . لا شك فيها .. بعارة أدق أنا فى إحدى جزر  
الكاريبى .. لاحظ أننى أعرف هذا الجو جيداً وخضت فيه أكثر  
من قصة . نحن نتكلم هنا عن الفودوو . لن يكون هناك  
مصاصو دماء الليلة للأسف ...

كما تعرف القصة التى حكيتها مراراً ، هناك فى ساحل أفريقيا  
الغربي كانت العقيدة الودونية Vodoo تمارس على نطاق واسع  
خاصة فى ( داهومى ) و ( النيجر ) لدى الشعوب التى تتحدث  
اللغة اليوروبية . ثم جاءت تجارة العبيد .. كان أول مكان هبط فيه  
أولئك القادمون من أمريكا هو الساحل الشرقى لأفريقيا .. كان  
هذا بين القرن السابع عشر والثامن عشر ... لقد اصطادوا بعضاً

من هؤلاء البؤساء وحملوهم كالأنعام إلى أمريكا في أفقر تجارة عرفتها البشرية .. هكذا استقر هؤلاء في جزر الهند الغربية .. أول نقطة على الساحل الشرقي لأمريكا . لم يتخلوا عن ديانتهم . فقط مزجوها بالكاثوليكية ليتكون هذا الدين الغريب : الفودو .

طبعاً تتلخص عبادات هؤلاء القوم في نوع من حفلات الزار .. إن حفلات الزار تذهب دجاجة تلتطخ بها ثياب المرأة موضوع الزار والأمر يتكرر هنا .. حالة من الهستيريا العامة ثم تنتهي حالة الانجذاب بأن يصرخ أحدهم ويفقد وعيه .. نفس الشيء يحدث هنا ولكن يقال إن ( اللوا ) حلت بهذا الشخص ..

اللوا هي الروح الخيرة التي تسيطر على معتقداتهم هنا ..

هكذا أشق طريقى وسط الزحام .. مجرد ستاح آخر يطلق الكاميرا في عنقه بينما يتواثب الرجال والنساء في المهرجان .. أشكر للأخ ( لوكيريو ) أن أتاح لى فرصة هذه السباحة التى ما كنت لأقدر على تحمل نفقاتها من دون لغاته ..

امرأة سوداء ليست فى قمها سن واحدة سليمة تثب أمامى .. تهتف بصوت عال شيئاً مثل :

« أميستا مادارين .. »

فأهز رأسى موافقاً .. تكرر الكلمة عدة مرات ثم تذوب وسط الزحام ..

هناك ستاح أمريكى يمشى مع أسرته جوارى .. ينظر لى ويبتسم .. يقول :

« لا بد من أن تمنحهم بعض الدولارات .. هذا شأنهم هنا .. »

لكنى لم أر قط من يتسول بهذه الطريقة المرعبة ..

هناك يقف السياح فى دائرة .. المشاعل فى المركز بينما يقف الأهالى حول ساحرتهم .. هناك نوعان من السحر .. النوع الذى يمارسه الساحر باليد اليسرى فقط وهو النوع الشرير من هذا السحر .. والنوع الذى يمارس باليد اليمنى وهو ( اللوا ) وهو شبيه بالسحر الأبيض . كاهنة الفودو اسمها ( مامبو ) .

كانت كاهنة شمطاء جداً .. تذكرك كثيراً بالأم ( مارشا ) صديقتى القديمة ..

أضواء الفلاش تلتصع بلا توقف .. أغلب السياح بصورون المشهد بكاميرات الفيديو ..

الساحرة تردد عبارات لا تنتهى وهى تتمايل أماماً وخلفاً ..

تدرجياً مع تكرار العبارات بدأ الواقفون يدخلون نوعاً من ( الانجذاب ) .. برزت دجاجة من مكان ما ذبحوها وراحوا يبعثرون دمها على الواقفين .. وبدأ الرقص المجنون . الرقص المموم ..



الرقص الذى يقصد به إخراج النزعات المكبوتة .. بعد هذا سيكون الإنهاك وسيشعر كل واحد من هؤلاء بأنه غمّل همومه وآلامه .. سيقول إن هذا بفعل السحر ..

لعبة نفسية بسيطة جداً تعرفها كل كودية زار مصرية ..

رفعت الكاميرا إلى عيني ورحت التقط بعض الصور .

من المؤكد أن مغامرتي تتضمن مواجهة مع سحر الفودو لكن كيف ؟

هنا شعرت بمن يجذبني من كتفى .. استدرت فوجدت فتاة أوروبية شقراء تنظر لى فى كياسة وتضع إصبعها على فمها .. تأمرنى ألا أحدث جلبة ..

لم أحدث جلبة يا فتاة فانا لا أعرفك أصلاً ..

اقتادتني خارج الزحام المجنون .. خارج الدائرة الراقصة . وقالت لى بالفرنسية التى أفهمها بصعوبة :

- « أنا ( ميشيل ) .. »

- « نشرفنا .. وأنا ( رفعت ) .. »

عيناها الواسعتان الرمديتان تتكلمان .. تصرخان بلا صوت :

- « أنت فى مأزق .. أنا أولف كتاباً عن سحر الفودو .. وقد

سمعت المرأة تناديك بعبارة ( أميسا مادارين ) .. معنى هذا أنك

المختار للقربان فى هذا الحفل ! »

قلت لها فى حيرة :

- « الفودو لا يتضمن تقديم قرابين بشرية .. كل من درسوه قالوا هذا .. »

- « هم على الأرجح خطأ .. هذه الجزيرة تمارس تقديم القرابين البشرية فى عيد اكتمال القمر .. يجب أن تكون الضحية من خارج الجزيرة . وساحرتهم تعرف الضحية من بين الموجودين وتطلق عليها اسم ( أميسا مادارين ) .. حالياً كل الجزيرة تعرف أنك المختار .. »

- « وهل بنوون فتح بطنى أمام كل هؤلاء السياح ؟ هذا لن ينشط السياحة كثيراً .. »

- « لا .. سيطلبون منك أن تقف فى دور تمثيلى مربوطاً لعمود الأضحيان .. وسط كل المرح والصخب سيحدث خطأ مؤسف .. سوف يطير خنجر ليمزق عنقك .. كل شيء متفق عليه ، وهم يعرفون الفتى الذى سيفعل ذلك وقد اعتبروه شهيداً منذ هذه اللحظة .. قتل خطأ لا أكثر سوف يسجن من أجله بضعة أعوام لكنه سيصير بطلهم .. »

ابتلعت ريقى ..

- « وماذا أفعل ؟ »

- « بأى ثمن لا تقبل أن يقيدوك لهذا العمود .. »

ومدت يدها واقتادتني بين الأشجار .. بين النخيل .

من بعيد نسمع الصخب ودقات الطبول . هناك بقعة نور  
تتوسط ساحة الجزيرة حيث الجميع هناك ، بينما نحن نركض في  
الظلام والسكون مهتدين ..

قالت لى وهى تلهث :

- « لا تحاول أن تعود للفندق هذه الليلة .. قلت لك إن كل  
الجزيرة تبحث عنك الآن .. ربما أدفع ثمن معاونتى لك لكنى  
لا أقبل أن أرى عملية قتلك .. »

كان هناك نهر صغير . وفوقه بيت خشبي تقف دعائمه فى  
وسط الماء ، بينما هو أقرب إلى جسر يطل على هذا .. طراز  
الـ Patio الشهير فى الجزر . هناك مشعل على الباب .

قالت لى وهى تصعد درجات سلم :

- « هذا مكانى .. سوف تقضى الليلة هنا وفى الصباح تكون  
فى أمان ، لأن الليلة المشهودة ستكون قد انتهت .. »

فتحت لى باباً خشبياً فوجدت نفسى فى كوخ مريح . هناك  
مشاعل بالداخل مع عدة أصنام وثنية ..

- « معذرة .. فأنا أهوى جمع هذه التحف .. خذ راحتك .. »

دخلت الكوخ فجلست على الأرض .. ربما أنا أكبر أحرق فى  
التاريخ ، لكن يجب أن أصدقها .. أعرف أن مغامرة هذه الساعة  
تتعلق بالفودو .. إذن لدى كل الأسباب التى ترجح صدقها ..

- « سوف أعود لك بمجرد أن ينتهى الحفل .. حاول أن تنام  
قليلاً .. »

سوف أمضى الليلة هنا ..

هكذا مرت الساعات وأنا بين نائم ومتيقظ .. أقتل البهوض  
الذى اختلط بعرقى .. أنظر للمشاعل المتراقصة وأتخيل ما يحدث  
هناك فى ساحة الجزيرة ..

ثم سمعت تلك الحركات تعث فى الباب فتوترت ..

رأيت الفتاة ( ميشيل ) تدخل لتقف فى ضوء المشاعل .. تنظر لى  
حيث جلست على الأرض .. تقول :

- « بالطبع أنت جائع لم تأكل .. أحضرت لك بعض الفاكهة .. »

ولفت جوارى على الأرض ببعض الموز وفاكهة استوائية  
ما لا أعرف اسمها .. سألتها باسمها :

- « ثم يسأل أحد عنى ؟ »

- « كان هناك جو من الارتباك .. راحوا يريدون ( أميستا مادارين ) ويبحثون هنا وهناك .. اعتقد أنك أفسدت عليهم لينتهم الكبرى .. »

- « أنت التي أفسدتها لو شئت الحقيقة .. »

- « ليس بالضبط .. »

وهنا انفتح الباب .. ورأيت أمامي عشرة من هؤلاء القوم يلوحون بالخناجر والعصى .. في مقدمتهم تلك المرأة .. ( الملبى ) .. تلبس الأسمال وتضحك كاشفة عن أسنان فضية قبيحة .. تلمع في ضوء المشاعل ..

وثبت واقفاً ، فقالت الفتاة ( ميشيل ) وهي تقضم إصبعها من الموز :

- « أنصحك ألا تصعب الأمور على نفسك .. »

ثم التفتت لهم وقالت كلاماً كثيراً بلغتهم فوثب عملاق أسود ليقيد يدي إلى ظهري ، ولف حبلاً ليفياً بطريقة جعلتني أتأوه ألماً ..

قلت لها :

- « إذن كنت تكتنبن على .. »

قالت في استمئاع :

- « لم أكذب .. هم فعلاً يرونك ( أميستا مادارين ) .. المختار للقربان .. لكنك تكون مجنوناً لو صدقت أنهم كانوا سيقتلونك في الساحة أمام كل هؤلاء السياح .. تقديم القربان البشرى يتم بعد طقوس الحفل .. ويتم هنا في بيت الكاهنة ! .. هذا ليس بيتي لو كنت قد لاحظت هذا .. »

قلت لها ولما أحاول فك قيدي :

- « وما مصلحتك أنت ؟ »

- « عندما تدرس موضوعاً ما لفترة من الأعوام فإن علاقة حميمة تنشأ بينك وبينه .. أنا أمنحهم أسرار البيض وهم يظنوني عنى أدق طقوسهم . الطقوس التي لا يمكن أن يراها رجل أبيض .. هذا تبادل منفعة لا شك فيه .. أنا أزداد علماً وهم يخدعون من يريدون .. »

ثم أخرجت الكاميرا من جرابها ، وقالت :

- « للمرة الأولى سوف أرى مشاهد تقديم القربان البشرى .. وهذا كله بفضلك .. لن تتصور أبداً حجم الخدمة التي قدمتها لى أيها الصديق العزيز ! »

كدت أرد لكن ضربة قوية على مؤخرة رأسي جعلت الظلام هو الذي يتولى الرد ..

\*\*\*



المقابر ..

المشهد المؤلف الكريه للشواهد التي تصبح في ضوء القمر .  
قد يوحى بالرعب أو بالسلام النهائي حسب حالتك النفسية ..  
تنظر لساعة يدك فتجدها الحادية عشرة مساء ..

أنت هنا مع د. (ويليام مكدوجال) و (جون هارتفورد) .  
كلاهما يدرس الطواهر الخارقة للطبيعة .. كلاهما يعرفك جيدًا  
وقد قابلاك يوم جئت إلى لندن ..

تذكر أنهما جاءا في المساء بينما طقس لندن اللعين يستمطر  
لغباته على كل شيء .. كنا يحملان خطاب توصية من باحثة  
سكوتلندية تدعى (ماجى ماكيلوب) .. هكذا ! كل الاختيار لك !  
كانك يمكن أن تقول ( لا ) لـ (ماجى) ..

الأول وهو د. (ويليام) هو الأكثر شيئًا ووقارًا وخبرة . قال لك :

- « سمعنا عن مغامرتك الغريبة مع (رونيل السوداء) .  
الساحرة التي أحرقوها فعدلت للحياة ، لكننا اليوم نبحث في  
موضوع آخر .. »

قال الآخر الذي هو شاب وسيم نوعًا :

- « الويكا .. هل تعرف معنى الاسم ؟ »

بدا على الغباء .. ربما بسبب إرهاق السفر .. فقال :

- « الويك Wicca مصطلح نو جنور ثمانية مغاه (ساحرة) ..  
انه يرمز لنسوة ما زلن يعتقن معتقدات عصور الوثنية ..  
بالنسبة لهن يعتبر العام كله عجلة لا تكف عن الدوران .. ومن  
هذه العجلة تخرج ثمانية أيام صيام .. »

قلت وقد تذكرت شيئًا مماثلًا :

- « مثل عجلة البوذيين الثمانية .. »

- « تقريبًا .. »

- « من الغريب أن يتداخل الكثير من تلك الأيام مع الأعياد  
المسيحية المعروفة ، لكن تفسير هذا سهل .. لقد قامت المسيحية  
بأخذ هذه الأعياد لنفسها كي ينسى الناس أصلها الوثني .. لو أنك  
مصر على الاحتفال بإله وثني يوم الخامس من إبريل مثلاً ، فمن  
الأسهل أن نجعل العيد عيدًا مسيحيًا بذكرك بالإله الحق .. هذا ما  
حدث مع (الهالوين) الذي كان عيدًا وثنيًا للإله (ساوين) ثم  
حولته المسيحية إلى (ليلة جميع القديسين) .. »



تثأبت ، وقلت :

- « كل هذا جميل يا سادة .. لكنى جئت من السفر حالاً ، وما زلت غير قادر على سماع محاضرات عن الأديان المقارنة . ما المطلوب منى بالضبط ؟ »

قال د. مكدوجال وهو ينتقى كلماته :

- « هناك تقرير نتحدث عن اجتماعات للويكا فى مقبرة غربى لندن .. هذا يتفق مع أعيادهم ذات الدورة الثمانية .. نحن نريد أن يكون معنا شاهد يرى ما نراه ويشاركنا الرأى .. ماذا يفعلون هناك ؟ من هن ؟ هذه أسئلة مهمة فعلاً .. »

قلت له وأنا لتمطى بلا لياقة :

- « ما دامت د. ( ماكينوب ) هى التى أوصت بى فلا مجال للاعتراض .. فقط أنا بحاجة لنوم عميق واعتبرائى موافقاً .. »

\*\*\*

لهذا تجدنى الآن جوار شاهد القبر هذا فى المقبرة ..

معنا كاميرا عالية الحساسية .. معنا جهازاً تسجيل ..

يأتى د. ( ويليام مكدوجال ) و ( جون هارتفورد ) فى الوقت المناسب .. الحادية عشرة مساءً .. الساعة 23 .. أى موعدك

مع حرف ١١ .. لقد اتضح الأمر هذه المرة .. اللقاء مع الويكا .. ساحرات شريرات بريطانيات يقطن شيناً فى المقابر ليلاً . إن المقابر موحية على كل حال . لو لم تلتق الساحرات هناك فأين يلتقن ؟

قال د. ( ماكدوجال ) :

- « كل مقابر لندن تشهد ظواهر غريبة بدءاً بخاطفى الجثث وانتهاء بمن يزعم أنه مصاص دماء .. »

قلت له :

- « ثمة شيء مخيف فى لندن . لا أعرف ما هو . ربما هو التراث الفكتورى الذى تركه ( هرام ستوكر ) و ( ستيفنسون ) و ( هـ . جـ ويلز ) .. لكنك تشعر بأن كل شيء ممكن هنا .. »

تمضى الساعة .. ولا شيء يحدث ..

فقط الضباب البارد يحيط بك .. ضباب لندن له رائحة ما لا أستطيع وصفها ..

لو بدأت الأمطار تهطل فجأة لساء الأمر بما لا يقاس ..

قال ( جون هارتفورد ) وهو ينهض :

- « اعتقد أن الوقت قد حان لأقوم بحولة . ربما كنا نقف فى المكان الخطأ .. »

وقال (ماكدوجال) :

« لا أعتقد أن اختلافاتهم ستنتم سراً .. التقارير تتحدث عن صخب كبير .. »

قلت له وأنا أضغط ياقة المعطف على صدرى :

« سوف أنتظر هنا ساعة أخرى .. لو لم تظهر الساحرات بعد منتصف الليل فى مقبرة فلا أمل فى ظهورهن .. »

لقد قمت بما يعنيه على ضميرى .. انتظرت فى الظلام والبرد ساعة وسأنتظر ساعة أخرى .. لكن لو كنت تطالبنى بالبقاء حتى الشروق فانا آسف ..

كانت هناك بقربى عصا مفروسة فى التربة اللينة فأخرجتها .. تبدو لى كوتد مذبذب .. لابد أنها جزء من سور كان هنا فى الماضى ..

رحت أتسلى بقراءة اسم صاحب القبر الذى نتوارى جواره .. (مايكل موراي) . توفى فى 8 أغسطس عام 1961 . كلمات تأبين رقيقة .. أزهار جافة بللها المطر .. ترى كيف كان يبدو ؟ ماذا كانت أحلامه ؟ هل حلم يوماً بأن نتوارى جوار قبره فى انتظار اجتماع ساحرات ؟

هنا رأيت الظل الساقط على القبر ..

برغم الجو الغائم فالقمر يبعث ضوءاً شحيحاً من خلفى يسقط على شاهد القبر .. هكذا رأيت ذلك الظل .

استدرت بسرعة فوجدت د. (ماكدوجال) وقد صارت عيناه بنون الدم . فمه مفتوح كشفاً عن أنياب مستطيلة كأنياب الضواري .. إنه واقف وقد رفع يديه فى وضع انقباض ...

كان يقصصنى أنا !

فهمت الآن !

كان يثب فوقى فى اللحظة التالية وضعت الطرف المذهب لوتد بينى وبينه وعرفت ما سيحدث .. الوتد غاب حتى منتصفه فى قلبه .. لم أكن أنا من يغرسه بل هو غرسه بثقله فى صدره وأمعن فى ذلك ..

صرخ من دون صوت وتدفق الدم من الجرح ..

سقط على بعد خطوات منى وثقبت على ظهره يحاول لتزاع الوتد بينيه لكنى وثبت فوقه ولولجت الوتد بهقى أكثر وعيننا لا تفرق .. فيما بعد سيكون على أن أفسر موقفى أمام شرطة لندن . لكن لا وقت الآن إلا للبقاء حياً ..

وحدى فى المقابر مع مصاص دماء ، لكن الوتد قد وجد طريقه لقلبه .. لن ينجو منها ..

الآن نفهم ما حدث .. يبدو أن قصة الويكا كانت مجرد مقلب لخداع ماجي وخداعي .. استدراجي وحيداً للمقابر .. المغامرة كانت مع حرف W فعلاً ، لكن هذا الحرف يرمز للفايفيري Wamphyri أى مصاص الدماء بالرومانية .. إن الألمانية وأغلب لغات أوروبا الشرقية تحيل الـ W إلى V فى النطق .. أعتقد أن هذا هو التفسير الوحيد ..

الآن همدت حركته ..

الآن صار جثة .. سوف يعود إن لم يتم حشو فيه بالثوم وقطع عنقه ، لكنى غير متحمس لهذا كله .. فنيقم به سواى .. سوف أكون غداً فى مصحة أمراض عقلية بريطانية على الأرجح ..

سمعت زميله قادماً من الخلف ..

استدرت له .. ثمة احتمال لا بأس به أن يكون مصاص دماء هو الآخر .. لكنى لن أستطيع انتزاع الوند من صدر د. (ماكوجال) ..

كان قادماً وهو يسلط الكشاف علينا .. هتف فى رعب :

« ماذا حدث ؟ »

قلت وأنا ألهث :

« أرجو أن تتفحص فيه وأسنانه لتوفر على مجهود الشرح .. »

وابتعدت عدة خطوات ..

رأيتيه يحثو جوار القنيل الدامى .. يفتح فمه .. ثم شهق وهو يتحسس الأسنان الحادة كالإبر .. وهمس :

« لهذا كان لا يظهر إلا فى الليل .. أعتقد أنه أراد استدراجنا معنا .. »

« أو استدراجى لأكون وحدى معكما ! »

استدار لى ضاحكاً فعرفت أننى كنت محقاً ..

رأيت الأنياب الحادة والعينين الحمراء .. هذه المرة أنا فى مأزق غاية فى السوء .. لا أتوقع ذات الحظ الحسن .. هذا الفتى أصبى وأقوى .. دعك من أنه رأى كيف هلك زميله ..

قال لى وهو يتقدم نحوى وأنا أتراجع :

« لم يكن الأمر يتعلق بحرف W .. بل كان يتعلق باثنين من حرف V .. أنت تعلم أن حرف W يبدو ككاه حرفا V متلاصقان (\*) .. معنى هذا أن هناك اثنين من الـ Vampire .. اثنين من مصاصى الدماء .. قضيت أنت على واحد فماذا عن الآخر ؟ »

كنت أتراجع يظهرى نحو سور المقبرة عارفاً أن لحظة التماس قادمة ..

لا مزيد من التراجع ..

(\*) من ناحية الرسم فقط ، لكن العربيين يعتبرون حرف W حرفى V متلاصقين ويسمونه Double U .

لديه الوقت كله ..

لن تكون هناك مرة قادمة أتذكر فيها أن حرف ١١ يبدو كأنه  
حرفا ٧ متلاصقان ..

هذه من الدروس التي لا تؤتى أكلها أبدا !

\* \* \*



منتصف الليل .

لا توجد طريقة أعرفها للتفاهم مع الصينيين إلا عن طريق  
( وان - هو - فتج ) الدليل الذي يرافقتي في هذه الرحلة الغريبة ..  
وهو رجل في الخمسين من العمر ملتج يبدو أنه عميق الخبرة  
بهذه الأمور .. وكعادة الصينيين لم تترك التجاعيد / الأخاديد  
بقعة على جنده لم ترسم عليها رحلة عمره المضنية ..

نحن في موضع ما من جنوب الصين . ربما نحن قريبون  
من ( لاوس ) جدا ..

نحن في الجبال .. حيث التنفس صعب بسبب نقص الأكسجين ،  
وحيث البرد يتخلل عظامك ذاتها .. من حولك الحمالون والدليل  
الصيني كبيرهم .

لماذا أنا هنا ؟ الأمر هين .. لأن ( لوكيريو ) اختار لي أن  
أكون هنا ..

منتصف الليل .. يبدو أن لي لقاء مع كابوس صيني يبدأ  
بحرف X .. لكن ما هو ؟



على قدر علمي لا أعرف أى كائن يبدأ بهذا الحرف ، ما عدا المخلوق X الذى وصفته إحدى العالمات فى (كينيا) .. مجرد كائن آخر من تلك الكائنات التى هى خليط من قرد وإنسان والتى تعج بها كتب الظواهر الغامضة .. شوهد فى مرتفعات كذا .. وجدت صورته على جدران كهف كذا .. التقط له المستكشف فلان صورة غير واضحة ..

هكذا .. لا تصل لحل أبداً ..

على كل حال لا داعى للسخرية ، لأننى أعرف يقيناً أنها حملة استكشافية ما .. غالباً نحن نبحث عن كائن مشابه ..

ولكن ..

لماذا يلبس الرجال جميعاً هذه الأكمام المستعارة المصنوعة من البامبو ؟

قال لى (وان - هو - فاتج) بالإنجليزية التى يجيدها :

- « يحب (خويرين Xueren) أن يقبض على الناس من أترعهم . يقال إن هذا يسبب له فرحة غامرة .. والفرحة قد تبلغ به مبلغ أن يفقد وعيه للحظة ، ثم يفيق ويلتهمهم !.. هكذا تقول الأسطورة ! »

قلت فى غيظ :

- « مسخ يفرح بالقبض عليك لدرجة أنه يفقد وعيه .. ألا ترى هذا سخيفاً ؟ »

قال دون أن يفهم الدعابة :

- « هذا ما نقوله الأسطورة .. عندما يقبض على ذراع المسافر فاتيه يفقد وعيه فرحاً .. هنا ينزع المسافر ذراعه من أسطوانة البامبو ويفر .. »

ثم لوح لى بأسطوانة ، وقال :

- « هل تلبس واحدة ؟ »

بالطبع لا ..

حسب كلامهم فإن الخويرين كائن آخر مزيج من قرد وإنسان .. تصفه الكتابات الصينية منذ 2000 عام .. يمشى على قدمين ويغطيه فراء بنى ، بينما ارتفاعه حوالى مترين .. له علامات أقدام مميزة جداً هى التى نقتفيها الآن فوق التربة البنية ..

\*\*\*

منتصف الليل .

ونحن جالسون حول النار فى ذلك المخيم .

(وان - هو - فاتج) ليس هنا .. اعتقد انه يقضى حاجته أو يتفقد منطقة الاشجار المحيطة بنا . لا خوف عليه من لقاء (خويرين) فهو الخبير الحقيقي بالمعل من بين كل الأكاذيب المتناثرة حول هذا الموضوع ..

أرملق وجوه الصينيين المتفضضة العجوز من حولي منهم من يدخن العليون ومنهم من يشرب الشاي شارد الذهن وجوه تبدو في اللهب كأنها تشتعل ..

يتكلمون فلا أفهم ما يقال من اسهل ان تصاب بالباراتوبا في جو كهذا حتى دعياتهم يستحيل ان تفهمها وتبدولك سمجة . لهذا تدفن رأسك بين كتفيك وتدفن عيتك في النيران .

فجأة يتعالى صراخ ما من وراء المرتفعات .

يهب الجميع على أقدامهم ويتصايحون في دهشة .

فجأة يبرز (وان - هو - فاتج) من مكان ما . يصيح فيهم بالصينية من ثم يحمل كل واحد منهم بندقيته ويهرع بعيدا .

ينظر لك (وان - هو - فاتج) ، ويقول :

- « واحد من الرجال ممزق بين الأشجار لا نحتاج إلى إجراء تحقيق لمعرفة من قتله إن ذراعه مهشمة كأن هناك من كان يمسك بها بقوة .. »

نهضت مذعورا ، فقال لي :

- « لا داعي .. الرجال سيأتون به هنا .. اعتقد انه (فاتج لي) .. »

يتوارى الرجال بعد ما وضعوا تلك الأسطوانات حول أنرعهم .

ساد الصمت .. فقط صوت النيران المضطربة والتوتر في الأحشاء ..

أسأل (وان - هو - فاتج) :

- « هل تعتقد انه هاجمه منذ زمن ؟ »

- « ربما .. »

بعد قليل يعود الرجال وهم يحملون البقايا ملفوفة في حزام أحمر فلا تعرف إن كان ملوثا بالدم أم لا .. هذا إذن ما فعله الخويرين

وضعوها جوارنا فنهضت وأحضرت الكاميرا .. يجب أن أعمل بقدر كبير من الكياسة فربما ضليقتهم أن ألتقط صورة لجثة زميلهم

ربما كذلك أتمكن من تصوير طقوس وداع الميت .. هل هم بونيون أم كونفوشيوسيون أم هم - ببساطة - ملحدون ؟

نظرت لوجه (وان - هو - فاتج) المتفضن متسانلاً فبرز رأسه أن افعل ..

بدأت تشغيل الكاميرا مكتفياً بضوء اللهب الخافت المتراقص  
والرجال يلتفون حول الجثة .. هنا ظهر الوجه الميت ..

هذا الرجل لا يمت للحملة بصلة .. لم أره من قبل قط ..

في اللحظة التالية مد أحد الرجال يده وانتزع قطعة كبيرة من  
جسد الميت وبدأ يلوكها .. وعلى الفور تقطع الباقيون على الجثة

رفعت الكاميرا عن عيني لأكنى لم أصدق ما رأيت عبرها ..  
أردت أن أرى هذا مباشرة ..

ونظرت في رعب إلى (وان - هو - فاتج) ..

قال لي وهو يتسم:

- « عشاء بسيط أعدته للرجال .. لاحظ أنهم لم يتناولوا العشاء  
بعد ...!.. هذا الرجل كان يبحث في المنطقة عن (خويرين) .. »

وثبت للنوراء لأبتعد عنه لكنني وجدت يده تطبق على ساعدي  
كأنها ملزمة ..

- « ليس بهذه السرعة .. »

ورفع القلنسوة عن رأسه فرأيت أن رأسه مغطى بالشعر  
بالكامل .. معظم وجهه .. هذا ليس بشراً .. لم أتبين هذا إلا الآن

قال وهو يطبق على ساعدي بقوة:

- « أنت لا تعرف عنا أي شيء على الإطلاق .. فقط تفاوضت  
مع مسئول حكومي فرتب لك هذه المجموعة من سكان الجبال ..  
ألم يخطر ببالك أننا عشيرة من (الخويرين) ؟ »

حاولت التملص لكن قبضته كانت قوية جداً ، وأردف قائلاً:

- « لهذا لم ير أحد (الخويرين) قط .. لأن الخرافات تحيط  
بهم وكل هذا الكلام الفارغ .. يبحث الناس عن فرد عملاق يشبه  
(المى جى) ، بينما نحن لا نختلف عن البشر كثيراً كما ترى ،  
فيما عدا الشعر الذي يغطينا بالكامل ومنظر أقدامنا .. هذه الآثار  
هي التي جلبت لنا الكثير من الفرائس البشرية .. ذكاونا مثلهم  
إن لم تكن أذكى .. لهذا ظل سرنا خفياً طيلة ألفى عام .. »

في اللحظة التالية وجدت نفسي على الأرض ..

صوت القضم على بعد خطوات .. الخوار ..

وجوه الحماليين الغربية المخيفة ..

الليل ..

اللهب ..

نعم هو منتصف الليل .. لقائي مع (الخويرين) ..

ليسوا واحداً بل عشيرة منهم . ورنيسهم الإنجليزية !

إن الكثير من المرح ينتظرنى ..



لقد مر منتصف الليل وجربت لحرف رقم 24 في الساعة رقم 24 ..  
الآن لا توجد ساعة خامسة وعشرون .. هل ستدور الدورة  
من جديد مع مسخ يبدأ اسمه بحرف A ؟  
أعتقد أن هذا صحيح لكن هذا يعنى تناقضا لا بأس به مع  
منطق اللغة . يجب أن أواجه وحشا يبدأ بحرف Y . لو واجهته  
لكان معنى هذا أن اليوم 25 ساعة ..  
اللغة تلتهم نفسها ..

لكن لا أعتقد أن ( لوكيريو ) لم يفكر فى هذا ...

لست متأكدا لكنى أعتقد أن الباب الخلفى للفرار يبدأ من هنا ..  
لا اصدق أننى سأجرب هذا كنه مرة أخرى ..

من الواضح طبعا أنه لن يستعمل ذات المسوخ .. سوف  
يستعمل مسوخا أخرى تتم عن تنوع لغوى ممتاز .. ربما فى  
الواحدة صباحا أقابل ( ابراكساس ) وفى الثانية أقابل ( بهيموت )  
أو ( بعزبول ) .. واضح أنه من الممكن أن تتم مغامرتى هذه  
بذات القواعد على مدى ألف يوم آخر ..

لقد جربت الموت بكل تفاصيله فى 24 مغامرة تقريبا - ما عدا  
مرات الفش التى قام بها - لكنى لم أمت .. بالفعل انتهيت  
الموت فى كل مرة ولم يأت ..

سوف يتكرر هذا حتى يدفعنى إلى الجنون وربما الانتحار ..  
يجب أن أفكر بعمق .. يجب ..

\*\*\*

« قال إتك حاولت خطف صنمهم وأهنته بالكاميرا .. لذا  
سيقوم هو بخطف روحك .. يقول إتك ستتأذى بعدد ساعات  
اليوم فى دهاليز الكوابيس ومع الأجدية .. وأنتك ستستهى  
الموت فلا تناله .. »

\*\*\*

هكذا قال الساحر ..

هل أستطيع أن أحاول استعالته ؟ ربما لو سافرت إلى كينيا  
من جديد و..

حل سخيف طبعا .. لن أستطيع عمل شيء وحدى .. دعك من  
أن ذهلبى بقدمى إلى أراضي التوركاتبا هو انتحار .. ربما كان  
من الأسهل أن أفعل هذا هنا والآن فهذا يوفر النفقات والجهد ..  
الكاميرا !



يجب أن أقوم بتحريض الفيلم .. كنت أكره هذا لكنى أعتقد أنه سيقبض ضوءاً على الموقف ..

هل يمكن أن أجد ستوديو تصوير فى ساعة كهذه ؟

ربما لو جيت المدينة بسيارتى .. من حسن الحظ أن آلات الطبع الفوري كانت قد دخلت مصر فى هذا الوقت .. استلم فيلمك بعد ساعة .. هذا يجعل الأمور ممكنة ..

هكذا انطلقت جرياً لأخرج سيارتى من المرأب فى هذه الساعة المتأخرة من الليل أو المبكرة من صباح غد ..

رحت أجوب الشوارع وعيناي تبحثان فى كل صوب ..

هناك كان ذلك الستوديو .. عرفته من أضوائه المبهرة وإعلانات الأفلام الخيام الموضوعة أمام واجهته .. طبعا .. ستوديوهات التصوير تسهر طويلاً لارتباطها بحفلات الزفاف .. كيف فاتنى هذا ؟

اندفعت إلى الرجل الجالس خلف الكاونتر والذي بدا عليه الملل ، لأقول له متوسلاً إننى أرغب فى أن أطبع هذا الفيلم الآن ..

نظر لى فى دهشة وأبدى اعتذاراً .. ربما يمكن أن يعيده لى غداً .. لكنى أخرجت رزمة مال ووضعتها أمامه .. بدا له إننى يائس أو مجنون ..

- « ليكن .. انتظر ربع ساعة .. »

هكذا نهض ودخل غرفة جانبية ليبدأ تشغيل آلة الطباعة ..

جلست متوتراً أنتظر والكاميرا الفارغة فى يدي ..

ما الذى أتوقع أن تثبت لى للصور ؟ لا أعرف .. لكنه نوع من الحدس الداخلى .. على أن أستغل فترة الهدنة القصيرة هذه ..

بعد وقت طال عاد لى حاملاً مظروفاً مكتئباً ، وقال لى :

- « هل هذه الصور فى أفريقيا ؟ جميلة . جميلة .. »

قلت مصححاً فى إرهابى :

- « لا تنس أن لية صورة تأتيك هنا إنما التقطت فى أفريقيا ! »

ذات الخطأ الذى تكرره عندما يقول المرء : سأذهب لمصر ! الحقيقة أنه فى مصر فعلاً .. ما يعنيه هو القاهرة ..

ورحت أقلب الصور بسرعة .. كلها صور من ذلك المؤتمر اللعين .. صور لمحميات كينيا .. ثم ..

صورة الصنم الذى وضع قبعة على رأسه ..

بعدها فوجئت بصورة الساحر الأفريقى المخيف يقف بينى وبين الصنم !



لقد كان جهاز التوقيت مبرمجاً لالتقاط صورتين .. وعندما داهمنى الساحر وأفزعنى التقطت له الكاميرا صورة ثانية ..

إن هذا قد يفتح الطريق لحل ثوري للمشكلة ..

« قال إنك حاولت خطف صنمهم وأهنته بالكاميرا .. لذا سيقوم هو بخطف روحك »

« يقول إنك ستعذب بعدد ساعات اليوم فى دهاليز الكوابيس ومع الأبدية .. وأنتك ستستهى الموت فلا تناله .. »

خرجت من المحل ووقفت على الرصيف المظلم ..

هناك صوت دبيب .. دبيب يهز الشارع هزاً ...

رفعت عينى لأنظر إلى بقعة الظل الكائنة فى آخر الشارع ..

عرفت على الفور كنه هذا الذى يقترب ..

يقلب السيارات .. يهشم واجهات المنازل .. يزار .. ينظر لأعلى .. يضرب صدره .. يتقدم .. لولا أن المدينة شبه خالية لأثار هلعاً لا يوصف ..

إنه رجل الثلوج .. الياقوتى Yati ..

هنا فى القاهرة .. هل يبدو هذا غريباً ؟ ومتى رأيت شيئاً غير غريب فى هذا كله ؟؟

لقد بدأت القصة التالية .. القصة التى يبدأ خطرها بحرف Y ..

من الواضح أننى ساموت على يد الياقوتى .. بعد هذا ربما أواجه هجوماً من الزومبى الذين يمشون يترنحون فى شوارع الدقى .. وبعدها يكون الوقت قد جاء للمغامرة مع حرف C .. فحرف D .. إلخ ..

لم يجد (لوكيريو) حلاً سوى هذا لتلافى مشكلة عدم تطابق الأبجدية مع ساعات اليوم ..

كان الضمى يقترب منى ..

لم تتضح ملامحه بعد لكنى أتوقع كيف ستكون ..

فى هدوء مددت يدي إلى الصور وأخرجت صورة الصنم وصورة الساحر ..

أشعلت القداحة ووضعتها تحت الصورتين ..

اللهب يتعالى ..

إن لوكيريو كان يؤمن أن الكاميرا تسرق الأرواح .. ربما عرف أن صورته معى .. ربما لم يعرف .. فى جميع الأحوال هو سجين عندى بمنطقة وقد قررت أن أحرق الصورة ..

بهذا أقضى عليه أو أحرره .. لا أعرف بالضبط ..



وصحت من بين أنفاني :

- « لو كيريو أيها النصاب العجوز .. أنا أطلق سراحك .. فأطلق سراحى .. »

الصورة تحترق .. أرى وجهه القبيح يتلوى كأنه يحترق بلقفل ..  
ذلك الشيء ما زال يقترب ..

النار تتعالى ..

إنه يقترب ..

الصورة تتجدد وتتفحم ..

إنه يزار ..

ثم فجأة ساد الصمت ..

لم يعد هنالك سوى وسوى الرماد الساخن يحرق أناملى ..  
وسوى الرصيف الخالى وسوى الظلام وسوى الأضواء المنبئة  
من الستوديو السهران .. وسوى صاحبه وهو يهرع للخارج  
مذعورا ليسألنى عن سبب هذه الضوضاء ..

قلت له :

- « لا شيء .. لص حاول أن يسلبنى مالى لكنه اختفى عندما  
سمع صوتك .. »

نظر للصورة المتفحمة فى يدى ، وهتف :

- « لماذا أحرقتها يا سيدى ؟ .. ألم ترق لك ؟ »

- « بل هى متفحة أكثر من اللازم .. ومن عادتى أن أتخلص  
من الصور المتفحة لأنها تخيفنى .. أشعر بأنها تحبس روح  
الناس فيها .. »

وابتعدت دون كلمة أخرى متجها إلى سيارتى ..

أدرك المحرك وتنفست الصعداء ...

لو لم أحض هذا الفيلم كما اعتزمت ، لما استطعت الخلاص  
من هذه اللعة ...

أعتقد - وأرجو أن أكون على حق - أن هذه هى نهاية  
الأبدية ..

أرقد فى سلام أيها اللعين ( لو كيريو ) ..

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

تمت بحمد الله

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس  
من فرط الغموض والإثارة

# روايات مصرية للجيب

## الأبجدية



و. محمد خير الدين

الأبجدية قد تكون لعبة ، وقد تكون لعنة حسب  
موقعك من الحياة .. ما يفعلته القط مع الفأر هو نوع من  
العسلية الممتعة بالنسبة للقط ، بينما هو قمة السادية المروعة  
بالنسبة للفأر .. فقط يعتمد الأمر على ما إذا كنت قطاً أم فأراً ..  
الأبجدية قد تكون كابوساً ، وقد تكون باقة مليحة من القصص  
القصيرة .. الأبجدية هي لعبة بالساعات والحروف .. قد  
تتملك وقد تثير جنونك ، لكنها تستحق الاهتمام حتماً ،  
خاصة إذا ما كان بطلها العجوز  
( رفعت إسماعيل ) ..



المؤسسة

العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع بالجمهورية والمملكة العربية

التمن في مصر 400

وما يعادله بالدولار الأمريكي

في سائر الدول العربية والعالم